13 me Année No. 637

Lundi - 17 - 9 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٣٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ١١ شوال سنة ١٣٦٤ — ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

درسان من دروس الحياة

للأستاذ إبرهيم عبد القادر المازنى

من أول ما تعلمته فى حياتى أن الدنيا لى ولغيرى ، وأنى لم أُعطها وحدى ، ولا أُعطيها سواى ملكاً خالصاً له ، ونحن جميعاً شركاء متكافئون فى الحقوق ، وعلينا من أجل ذلك واجبات متماثلة . وما دمنا شركاء إلى حين ، وما دام أن المقام فى الدنيا على كل حال قليل ، فإن من الحماقة أن ننغّص على أنفسنا هذه الحياة القصيرة بالعنت ، أو أن نؤثر التى هى أخشن على التى هى أحسن فى سيرتنا ، وقد كنت أحمق الحمقى فى صدر حياتى ، وما زالت بى بقية غير هينة من الحماقة ، فما انفكت الدّنيا تنفضنى كما ينفض الأسد فريسته ، وتشيلنى وتحطنى ، وترجنى وترمينى من هنا وههنا ، حتى فاءت بى إلى الرفق والهوادة فأرحت واسترحت

أى نعم ، تتسع الدنيا لى ولغيرى ، وتستغنى عنا جميعاً ! وليس أضل رأياً ممن يتوهم أن الحياة لا تطيب له إلا إذا خلا طريقه فيها من الناس . وما أحكم قول الإنجليز فى أمثالهم : « عش ، ودع غيرك يعش » ! وما على المرء إلا أن يفكر فيما عسى أن تخسر الدنيا إذا هى خلت من الناس وعادت خراباً يباباً ؟ لا شىء ! لن يكف الفلك المسيّر عن الدوران ، ولن يعوّق الشمسَ شىء عن الطلوع والأفول ، ولن تعدم الحياة على الأرض مظهراً آخر تتبدّى فيه كما تبدّت فينا نحن بنى آدم ! وهل نحن إلا صورة من صور الحياة ؟ وهل أعظم غروراً أو أقل عقلا ممن يكبر فى وهمه أن الحياة تنعدم إذا انقرض الإنسان وتقلّص ظله عن الأرض ؟

ولا يتوهم أحد أن هذا كلام زاهد أو متزهد ، فما أنا بهذا ولا ذاك ، وإنى لمن أشد الناس رغبة فى الحياة الرضية ، ونشداناً للعيش الرغيد ، وطلباً لأطايب الدنيا ، وعكوفاً على متعها المشتهاة ، وكل ما فى الأمر أنى لا أرى أن فوزى بما أبغى لا يستوجب أن يحرم الناس غيرى ما يطلبون ، أو أن يخيبوا ويخفقوا . وأى دنيا تكون هذه إذا كان نجاح فرد فيها وتوفيقه فى إدراك آرابه لا يتسنى إلا بخيبة الباقين ؟ ثم إنى لا أحس أن الناس ينافسوننى أو يزحموننى أو يضيقون علىّ المجال ، فإن الأرض رحيبة ، ومجالاتها لا آخر لها ، وما رأيتنى عجزت قط عن اختراع طريق بكر ، أو الاهتداء إلى ميدان جديد ، إذا شعرت بالحاجة إلى ذلك

وصحيح أن الحياة جهاد ـ جهاد مع الطبيعة ومع الإنسان ـ ولكننا لسنا من الحيوان ، فنضالنا لا ينبغى أن يكون بالأنياب والمخالب ، بل بالعقول . ونضال العقول متعة ، وليس يعيى به أو يستثقله أو يضجر منه إلا من لا يصلح لغير حمل الأثقال كالدواب . وليس أمر الدنيا إلى هؤلاء المساكين المستضعفين الذين يساقون ويسخرون ، بل إلى أصحاب العقول . حتى حين تقوم الثورات لا تكون الثورة فى حقيقة الأمر من الجمهور الأكبر والسواد الأعظم الذى يسفك الدماء ويعيث بالخراب والدماء ، بل ممن يدفعونهم إلى ذلك ويغرونهم به ويحضونهم عليه صراحة وتلميحاً ، وعفواً أو عن عمد ، أى من أصحاب العقول . ولست

تستطيع أن تعصر عقول الناس أو تعقل ألسنتهم . وخير وأرشد — لك ولنفسك — أن لا تفعل حتى إذا استطعت . وتصور دنيا ليس فيها من يفكر بعقله وينظر بعينه غير واحد ليس إلا ! أى مزية يستفيدها من التفرد؟ وأى متعة أو نعيم له فى حياته مع أشباه البهائم؟

إن المتعة والنعيم فى هذا النضال الذى تتصفح فيه عقول منافسيك وتضيفها إلى عقلك ، وأنت بذلك تكسب أبداً ولا تخسر ، وتضم كل يوم ثروة ذهنية إلى ما أوتيت من ذلك ، وتمنع عقلك أن يصدأ ؛ لأنك لا تنفك بفضل النضال الذى لا مهرب لك منه : تجيء وتشحذه وترهفه

ولكن المرء لا يستطيع أن يناضل بعقله الفطرى . وأعنى بالفطرى التى لا زاد له من العلم ، ولا مدد من المعرفة . وشبيه بذلك أن تذوده مقذوفات المدافع بالحجارة . فلا معدى لنا عن تعهد ملكاتنا وتزويدها بالأداة التى تجعلها أمضى وأكثر غناء

وعلمتنى الحياة الابتسام ! وإنه لعجيب أن يحتاج المرء أن يتعلمه ! ألم يقل بعضهم فى تعريف الإنسان إنه حيوان يبتسم ؟ وأدعى إلى العجب من ذلك أن تكون المحن والشدائد هى التى علمتنيه وعودتنيه ! إى والله ! فقد كان صدرى يضيق ومرارتى تكاد تنشق من الغيظ ، وكنت أجزع إذا حاق بى ما أكره ، وأقنط من قدرتى على اجتياز المحنة ، حتى تلفت أعصابى واسودت الدنيا فى عينى ، بل كاد نور عينى يخبو وينطفئ لفرط ما كنت أعانيه من الاضطراب والألم والكمد ، ثم لطف بى الله فتمردت على نفسى ؛ وصرت إذا عرانى ما كان يعرونى من الجزع أو الخوف أو الاضطراب أقول لنفسى : قد جربت مثل هذا من قبل ، وعرفت بالتجربة أنه كله يمضى ولا يخلف أثراً ولا يورثنى إلا الأسف على ما أنهكت من أعصابى فى احتماله ، وقد لدغت آلاف المرات ؛ فلا يجوز أن ألدغ بعد ذلك أبداً ، وخليق بى أن أتلقى كل ما يجىء — لا بالصبر والتشدد ، فقد كان ذلك ما أفعل ولم يكن يكفى — بل بالسخرية والتهكم — سخرية العارف وتهكم المدرك للقيم الحقيقية للأشياء — وبالابتسام الذى يهون كل صعب ويحيل كل جسيم ضئيلا .

وإذا بالابتسام له فعل السحر بل أقوى . تفتح حنكك ربع قيراط ، وتكلف عينك أن تومض قليلا فتتغير الدنيا كلها ! تجف الدموع إذا كنت تبكى ، وينضب معينها ، وينشرح صدرك إذا كان منقبضاً ، وتشعر بخفة فى بدنك بعد أن كان على كاهلك وقر ترزح تحته ، ويزايلك ما كنت تحاذر كأنما كان ظلا ارتمى عليه نور فنسخه ، ويتجدد الأمل الذى كان قد استحال إلى يأس ، وتنشط للعمل والسعى والجهاد وأنت مفعم بالرجاء ، بعد أن كانت رجلاك كأنما شدتا إلى قنطارين من الحديد ، ولا تعود تبالى أنك فى ضيق ، أو أنك عاطل ، أو مريض ، أو أنك فقدت عزيزاً ، أو أن تجارتك بارت وخسرت ألف ألف جنيه ! كل ذلك الكرب الممض يصبح غير ذى قيمة لا لشىء سوى أنك استطعت أن تبتسم ! ولست أتمنى للقراء إلا الخير محضاً ، ولكنه ما من حياة تخلو من دواعى الانقباض أو الألم أو الحزن ، فليجربوا الابتسام إذا مر بهم — لا قدر الله — شىء من ذلك ، وليتأملوا فعل سحره ، فقد وجدته فى كل حال وصفة نافعة .

وليس الابتسام سهلا فى مثل هذه الحالات ، فإنه مغالبة للنفس ، ومغالبتها تتطلب جهداً عظيما ، ولكن الثمرة تستحق العناء ، والمثوبة على قدر المشقة . وأول ما يكون على المرء أن يتغلب عليه ، هو الاستحياء من أن يتبسم فى موقف حزن أو كرب شديد مخافة أن يقول الناس إنه يسرف فى التكلف . وما من شك فى أنه لا يتأتى فى أول الأمر إلا بتكلف شديد ، ولكنه لا يلبث بعد أن ينجح فى تكلفه أن يصبح طبيعياً ، لأن مجرد الابتسام يفجر ينابيع البشر فى النفس فتفيض

ولأن يتكلف المرء الابتسام خير — وأسهل أيضاً — من أن يحتمل ما هو فيه من الآلام ، وما يساوره من المخاوف والوساوس والأوهام

ومتى ابتسم المرء فى الشدائد والمحن ، فإن الميزان يعتدل من تلقاء نفسه ، فيفطن المرء إلى القيمة الحقيقية — لا المتوهمة — لما هو فيه أو لما يخشى أن يكون . فتراه يقول لنفسه إذا كان قد فقد عزيزاً : « لقد مات ، وكان لا بد أن يموت يوماً ما ، وسنموت جميعاً متى وافانا الأجل ، فلا حيلة فى هذا . وصحيح أنه مات فى وقت أنا أحوج ما أكون فيه إليه وإلى عونه ، ولكن إطالة عمره لم تكن فى يدى ، واستغراق الحزن لى ليس من شأنه أن يجعلنى أقدر على النهوض بالعبء الذى انتقل إلى كاهلى »

وكان قبل أن يبتسم يقول : « يا ويلتاه ! وا مصيبتاه ! ماذا أصنع الآن ! لقد فقدت المعين ، فأنا ضائع لا محالة ! وكيف تطيب الحياة لى بعده ؟ الخ الخ » . نعم ، هو سحر ، ولكنه سحر فى وسعنا جميعاً أن نعالجه ونوفق فيه . وكل شىء فى مبتداه عسير ، ثم يهون بالدربة والمرانة ويصبح عادة وأشبه بالطباع ، ويكسب المرء مناعة وحصانة ، فلا تعود صروف الأيام قادرة على تقويض كيانها ونقض بنيانها . فجربوا هذا كما جربته ، واشكرونى

المازنى

أول صلاة في الاسلام

صلاة الركعتين

للدكتور جواد علي

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

والتهجد عبادة اختيارية فى الأديان الأخرى وكذلك عرف عند اليهود والمسيحيين. كان نساك اليهود يتعبدون ليلا ، يقيمون الصلاة تضرعاً إلى الله وخيفة ، ويقرأون شيئاً من التوراة « Thora » وكانت لهذه القراءة منزلة خاصة فى قلوب اليهود لما لها من ثواب عظيم . جاء فى المزامير : « فى منتصف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برك[١] » . وجاء عن النبي داود أنه كان ينام إلى منتصف الليل ثم توقظه جرادة كانت تأتى فراشه بتأثير هبوب الرياح الشمالية فيستيقظ ويفيق ويقضى النصف الثانى فى القراءة وترتيل أناشيد الرب وذكر اسم الله العظيم[٢] .

وعرف عن رهبان النصارى مثل ذلك ، كانوا يتهجدون ليلا ويقضون جزءاً من الليل فى العبادة ، وفى تاريخ الأديان كفاية لمن أراد المزيد .

والآن فما دامت الصلوات الخمس لم تفرض إلا ليلة الإسراء فكيف كان يصلى الرسول ؟ وهل كانت للرسول ولأصحابه صلاة خاصة ؟ اختلف الفقهاء فى الجواب ؛ وذهب أكثرهم إلى أنه كان يصلى وإن « أول ما افترضت الصلاة على النبي ركعتين ركعتين كل صلاة ، ثم إن الله أتمها فى الحضر أربعا وأقرها فى السفر على فرضها الأول ركعتين[٣] » .

وذهب جمع إلى أنه لم يكن قبل الاسراء صلاة مفروضة لا عليه ولا على أمته إلا ماوقع الأمر به من صلاة الليل من غير تحديد[٤] « وفى كلام ابن حجر لم يكلف الناس إلا بالتوحيد فقط ثم استمر على ذلك مدة مديدة ، ثم فرض عليهم من الصلاة ما ذكر فى سورة المزمل ، ثم نسخ كله بالصلوات الخمس ، ثم لم تكثر الفرائض ولم تتتابع إلا بالمدينة . ولما ظهر الإسلام وتمكن فى القلوب كان كلما زاد ظهوراً وتمكن ازدادت الفرائض وتتابعت[١] » .

وبعد فهذه آراء فى الصلاة قبل الإسراء متباينة . أما مابعد الإسراء فالإجماع حاصل على أنها خمس لاشك فى ذلك . ولم يتمكن المفسرون على الرغم من الجهود التى بذلوها من تعيين آية صريحة فى القرآن الكريم تشير بصراحة إلى الصلوات اليومية الخمس وتذكرها عداً دون تفسير ولا تأويل[٢] .

ويظهر من أقدم الآيات والسور القرآنية أن النبي وأصحابه كانوا يصلون بين البعث والإسراء ، ففى سورة العلق وهى من السور المكية ومن أول ما نزل من القرآن : « أرأيت الذى ينهى عبداً إذا صلى »[٣] مما يدل على أن المسلمين كانوا يصلون . وفى الأخبار أن الرسول بعد أن صلى الصلاة الأولى أتى خديجة بنت خويلد فتوضأ وتوضأت وصلى وصلت كما صلى الرسول ؛ ثم رآه على بن أبى طالب ففعل كما رآه يفعل[٤] مما يدل على أن الصلاة كانت معروفة قبل الاسراء بزمن؛ فالمعروف أن وفاة خديجة كانت قبل الهجرة بثلاث سنين أى فى السنة العاشرة من البعثة وهى أول من آمن به من النساء كما هو معلوم . ومن المعروف فى كتب السير أيضاً أن « الرسول كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه على بن أبى طالب مستخفياً من أبيه أبى طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها ، فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخى ما هذا الدين الذى أراك تدين به ؟ قال : أى عم ! هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم[٥] . وكانت وفاة أبى طالب قبل الاسراء فى العام الذى توفيت به خديجة[٦]

(١) mittursch. p, 11 المزامير ١١٩ آية ٦٢ :

(٢) mittursch. p, 11

(٣) ابن هشام جـ ١ ص ١٠٥ الحلبية جـ ١ ص ٢٥١، ٢٥٤

(٤) الحلبية جـ ١ ص ٢٥٤ .

(١) الحلبية جـ ١ ص ٢٥٥ .

(٢) تاريخ القرآن إلى نولدكه جـ ١ ص ٥١ . mittursch p, 9

(٣) سورة العلق (اقرأ) ٩٦ آية ١٠ .

(٤) اليعقوبي جـ ٢ ص ١٦ وسائر الكتب .

(٥) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ١٥٧ .

(٦) السيرة الحلبية جـ ١ ص ٣٢٩ .

فلو أخذنا بهذا الخبر وجب علينا إذاً أن نعترف بأن الصلاة كانت مفروضة منذ أيام الوحي الأولى .

إذاً كيف بدأت الصلاة وهل كانت على الطراز الذي نقوم به في الوقت الحاضر ؟ لا . كانت تختلف بعض الاختلاف عن الصلوات الخمس ، كانت ركعتين ركعتين[١] أي أن كل صلاة هي ركعتان فقط كما هو في صلاة الصبح في الوقت الحاضر أو في صلاة المسافر . وقد اختلفوا في أول صلاة صلاها الرسول : يقول أحمد بن واضح اليعقوبي : « وكان أول ما افترض عليه من الصلاة الظهر ، أتاه جبريل فأراه الوضوء فتوضأ رسول الله كما توضأ جبريل ثم صلى ليريه كيف يصلي فصلى رسول الله[٢] » وقد ذهب هـذا المذهب نفر من الرواة أيضاً[٣] .

والذي أراه أن الرواية ضعيفة لما ذهب إليه بعض المفسرين من أن صلاة الظهر هي « الصلاة الوسطى » التي ورد ذكرها في القرآن الكريم « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين »[٤] . فإذا كانت صلاة الظهر هي الصـلاة الوسطى فيجب أن تكون وسطا بين صلاتين ، وهذا مما يتعارض وكونها أول صلاة صلاها الرسول ؛ لأن كونها صلاة وسطى يستوجب وجود صلاة أولى وصلاة أخرى . ثم إن العقل لا يؤيد أن أول صلاة هي صلاة الظهر ؛ لأن الصلاة في أكثر الأديان هي في الصباح والمساء نظراً لسهولة معرفة الوقت ؛ فلا يعقل أن تكون صلاة الظهر هي الصلاة الأولى » ثم الآيات القرآنية السابقة لا تؤيد الرواية المذكورة أبداً ، وكذلك الآيات القرآنية التي نزلت بمكة كما سترى .

والرواية التي تقول بأن أول صلاة صلاها الرسول هي صلاة الظهر هي رواية نافع ، ورواية نافع هذه تحتمل الرفض وتحتمل القبول ، ونافع كثير السقطات في الأخبار . على كل فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن المقصود من الصلاة الوسطى صلاة الفجر[٥] وذهب بعضهم إلى أنها صـلاة العصر[١] . وحتى إذا ذهبنا هذا المذهب لا نستطيع الجزم بأن صلاة الظهر هي أول صلاة صلاها الرسول .

ولكن الذي يستنتج من مختلف كتب السير والأخبار أن الصلاة قبل الإسراء كانت في وقتين فقط وركعتين : صلاة بالعشى وصلاة بالغداة[٢] وهذا ما يؤيد كون الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر . ويؤيد هذه النظرية ما ورد في القرآن الكريم « يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ، ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم » [٣] وروى عن مقاتل بن سليمان أنه قال : « فرض الله الصلاة في أول الإسلام ركعتين بالغداة أي قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشى أي قبل غروب الشمس[٤] » .

وهذا هو الرأي المعقول ؛ لأن وقت الغروب ووقت الشروق علامتان يمكن إدراكهما بسهولة بدون حاجة إلى تعيين وقت والحساب . وأكثر الصلوات في هذين الوقتين ، حتى الوثنيين والأقوام البدائية تتخذ هذين الوقتين للاحتفالات الدينية ولإقامة الصلوات والطقوس .

ومما يؤيد هذا الرأي قوله تعالى : « وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها » وقوله : « وسبح بالعشى والأبكار » وذهب نفر إلى أن صلاة العشى كانت قبل صلاة الغداة ، ثم حدثت بعد ذلك صلاة الغداة[٥] » .. وكان الرسول يخرج إلى الكعبة في أول النهار فيصلي صلاة الضحى وكانت صلاة لا تنكرها قريش ، وكان هو وأصحابه إذا جاء وقت العصر تفرقوا في الشعاب فرادى ومثنى فيصلون صلاة العشى[٦] » ويظهر من هذه الرواية الأخيرة

(١) راجع سيرة أبي هشام ج ١ ص ١٥٥ . الحلبية ج ١ ص ٢٥٢ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦ وسائر الكتب الأخرى

(٢) اليعقوبي ج ٢ ص ١٦ طبعة النجف

(٣) رواية نافع في سيرة أبي هشام .

(٤) البقرة سورة ٢ آية ٢٣٨ . الخازن ج ١ ص ١٨٥ .

(٥) تفسير الخازن ج ١ ص ١٧٩ . ابن أبي زيد رسالة ص ٢٣ .

(١) نفس المصدر وكتب التفاسير الأخرى

(٢) تاريخ الخميس للديار بكري ج ١ ص ٣١٧ الحلبية ج ١ ص ٢٥٢

(٣) سورة النور ٢٤ آية ٥٨

(٤) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ . الديار بكرى نقلا عن فتح البارى ج ١ ص ٣١٧ .

(٥) نقلا عن السيرة الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ .

(٦) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤ .

أن صلاة الضحى كانت وقت الضحى لا قبل الشروق »[١] .

من الممكن إذاً تعيين صلاتين قبل فرض الصلوات الخمس : صلاة الغداة وإن شئت فسمها « صلاة الصبح وهى صلاة كان يؤديها النبى حين قيامه من الفراش وقبل شروق الشمس ، وصلاة العشى وإن شئت فسمها صلاة الغروب وهى قبيل غروب الشمس . وإذا ما وافقنا أكثر المفسرين على رأيهم من أن صلاة الظهر هى الصلاة الوسطى وهى وسط بين صلاتين فنكون بذلك قد عينا ثلاث صلوات هى الصلوات الأولى فى الإسلام . ولا شك فى أن الصلاة الوسطى وهى صلاة الظهر متأخرة نوعاً ما بالنسبة إلى الصلاتين .

قلنا إن الصلاة الوسطى هى صلاة الظهر « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين »[٢] ولكن سورة البقرة وهى السورة التى ذكرت فيها هذه الآية مدنية إلا آية ٢٨١ فإنها نزلت بمنى[٣] وهذا مما لا يتفق وما ذهبنا اليه ؛ لأن ذلك يدل على أن فرض « الصلاة الوسطى » كان بالمدينة أى بعد الاسراء ؛ فاما أن تكون الآية مكية ولكنها حسبت مدنية وتكون الصلاة الوسطى حينئذ قد فرضت بمكة فلا تحتاج المسألة عندئذ إلى تفكير ، وإما أن تكون مدنية فتحمل الآية حينئذ محمل الأمر والتذكير بشىء سابق لا نستطيع تعيينه بالضبط .

ذكر المفسرون بأن المقصود من الآية « حافظوا على الصلوات » الصلوات الخمس ، وهذا طبعاً هو تفسير المفسرين لأن الآية صريحة كل الصراحة لم تعين العدد . وإنما ذكروا العدد ليوفقوا بين حديث الاسراء وبين هذه الآية ، ولكن ما الذى يمنع إذا ذهبنا مذهباً آخر جديداً هو أن الصلوات الخمس لم تتم بهذا الشكل المألوف إلا فى المدينة وإلا بعد الهجرة ، ولأن كثيراً من الأحكام لم تأخذ شكلها النهائى إلا فى المدينة ؛ وبذلك يتيسر لنا شرح الآية بدون حاجة إلى تأويلات بعيدة لا طائل تحتها كما حاول ذلك المفسرون الذين حاروا فى تعليل العطف الذى جاء بعد « حافظوا على الصلوات » فبعد أن قالوا إن المقصود من الصلوات ، الصلوات الخمس اعترضهم اعتراض عام هو أن الصلاة الوسطى هى صلاة مهما قيل فى المقصود منها فإنها واحدة من الصلوات الخمس ، إذاً فما معنى العطف فى قوله تعالى : « والصلاة الوسطى » بعد أن ذكر الصلوات كلها ؟ عللوا ذلك بقولهم إنه تعالى : « أفردها بالذكر لفضلها[١] » .

ثم ذهبوا مذهباً بعيداً للتفتيش عن ذلك الفضل . ولو ذهبنا نحن إلى أن الصلوات لم تكن كاملة إلى أن هاجر الرسول إلى المدينة ثم كمل ذلك فيما بعد لما احتجنا إلى كل هذه الاحتمالات . وخبر الإسراء خبر وما جاء فيه لم يذكر فى القرآن .

وللبهود فى القديم صلاتان : صلاة عند الصباح وصلاة عند المساء، وتعرف عندهم باسم « شماع » أو « سماع » « Sch'ma' » تقرأ فى الصلاتين وصية إسرائيل « اسمع يا إسرائيل ، الرب إلهنا رب واحد . فتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك . ولتكن هذه الكلمات التى أنا أوصيك بها اليوم على قلبك[٢] » وتقرأ عند المساء والصباح من كل يوم « وقصها على أولادك وتكلم بها حين تجلس فى بيتك وحين تمشى فى الطريق وحين تنام وحين تقوم[٣] » .

وفى الديانة الفارسية القديمة صلاتان : صلاة فى الصباح عند النهوض ، وصلاة فى المساء قبيل الذهاب إلى الفراش[٤] وهى تشبه صلاة « الشماع » عند اليهود . والغرض من الصلاتين التوسل إلى « مزدا » « Mauzdâh » لطرد الأرواح الخبيثة والأنفس الشريرة . وفى وسع المؤمن طرد الشيطان « Druy » بالصلاة عند الصبح، فبعد النهوض من الفراش يتجه الإنسان إلى « Asem vohu » فيصلى له الصلوات الثلاث ثم يذكر اسم « Humatanam » مرتين واسم « Huxsathrotemai » ثلاث مرات واسم « Ahuva vairya » أربع مرات ثم يصلى إلى « Yenhe—hatâm » فتهرب الأرواح الخبيثة من الإنسان ولا تمسه بعدئذ بسوء[٥] وقد نشأت من

(١) الحلبية ج ١ ص ٢٥٤
(٢) البقرة ٢ آية ٢٣٨ .
(٣) راجع السورة وكتب التفسير

(١) تفسير الجلالين ج ١ ص ٣٥ .
(٢) التثنية الاصحاح السادس آية ٤ وما بعد .
(٣) التثنية الاصحاح السادس آية ٨ .
(٤) Schrielowiz. p, 22
(٥) Scheltelouiw p, 23 yesua 33,4 Q-ud 18,49 Qeud 10 .

ذلك تعاويذ خاصة يقرؤها الإنسان لطرد الخبائث والشياطين عنه[١] .

وقد انتقلت مثل هذه الأفكار البدائية إلى اليهود أيضاً .

فكان يوشع بن لاوى يشفى الأمراض بقراءة بعض الآيات من المزمور الحادى والتسعين ، ولكن كان من المحرم قراءة شيء من التوراة على المرضى[٢] .

وذكر عن « هونا » « R. Huna » عن « يوسف » « R. Josef » أن الإنسان يصلى صلاة « الشماع » لطرد الأرواح الخبيثة ولأبعادها عن المصلى »[٣] . وقد استخدمت المسيحية قراءة الكتاب المقدس لغرض إشفاء المرضى وكذلك الصلاة[٤] .

أما صلاتا الصبح والمساء والصلوات الأخرى فى الإسلام فإنها لم تتخذ لهذا الغرض بل جعلت واجباً دينياً على المسلم كسائر الواجبات .

جواد على

(١) Scheltelouiw.

(٢) Scheltelouiw p, 23 Schelu ot 15 b Jelawedcuu.

(٣) Jer. Berahot 1,1 Jeish Encycl. 3 P,202 ff 10 P,204 ff.

(٤) Schefte'owiz P, 23 Schurer Husto cf the Jeuish. natation 3 P, 4 of.

القطبان الأرضيان والاسكيمو

للأديب محمد وحيد الدين المعرى

الإنسان وفطرة الاكتشاف

خلق الانسان بفطرته وغريزته محباً للاطلاع والتنقيب ، وهذه الفطرة والغريزة تنشآن لديه منذ ولادته ، فإذا رأى الطفل شيئا تراه يسعى لمعرفة كنهه ومحتوياته ؛ فان كان مثلا ألعوبة آلية يسعى ليطلع على أسرارها ، وكثيراً ما يكسرها ليرى السبب الذى جعلها تقوم ببعض الحركات أو تحدث بعض الأصوات ... وهذه الغريزة ضرورية للإنسان إذ لولاها لماش عمره ينظر إلى الطبيعة نظرة باقى الحيوانات لا يفكر فى أمرها بل ولا فيما يختص بذاته ، ولو بقى على هذا الوضع لعاش حياته عيشة بهيمية يندفع للقيام ببعض الحركات أو الأعمال الضرورية كالطعام والشراب والنوم والخوف والدفاع عن النفس وغير ذلك بدافع خارجى لاعلاقة لتفكيره فيه كالجوع والعطش والنعاس والألم وغيره ، إذاً فالأنسان عاقل ، وعقله دفعه للتفكير ، وتفكيره دعاه للاطلاع والتنقيب والاكتشاف والاختراع ، لذلك فكر بادىء ذى بدء فى نفسه ثم فيما جاوره من الأشياء وفيما رآه قريباً منه وكذلك فقد تأمل فى هذه الأرض التى يعيش عليها وباقى المخلوقات كالكواكب والنجوم وغيرها .

العرب وكروية الأرض :

فكر الانسان فى هذه الارض التى يعيش عليها ويتنقل فيها ثم طاف بها إلى مسافات بعيدة علّه يصل إلى آخرها ولكن عبثاً ماحاول ، فأينما سار وجد الطريق أمامه مفتوحة إن كان براً أو كان بحراً فاعتقد بلا نهائيتها وبأنها مسطحة لا أولها ولا آخر ، وبقيت أمامه هذه العقبة الكأداء زمناً طويلا طلسما مجهولا ولغزاً صعباً لا يستطيع حلهما . وجاء الإسلام بكتابه المجيد فنقض كثيراً من النظريات البالية التى استعصب حلها زمناً طويلا فقال : « وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب » . ثم ازدهر مجد العرب وأسسوا مدنيتهم الزاهرة وقام فيهم العلماء المتعددون ، ودرسوا ما وضع السالفون من النظريات الفلسفية ووافقوا على ماساير العقل ونقضوا كثيراً من النظريات الأخرى التى تخالفه ، وساير دينهم العلم والعقل جنباً إلى جنب ، فأسسوا مدنية خاصة بهم تختلف عن باقى المدنيات وطبعوها بطابعهم الخاص واستطاعوا أن يثبتوا فى العصر العباسى فساد الكثير من النظريات كنظرية انبساط الأرض ولا نهائيتها ، وقالوا إن الأرض كرة مستديرة تسبح فى الهواء شأن باقى الكواكب والنجوم المنثورة فى الفضاء . وأمر الخليفة المأمون ببناء مرصد فلكى فوق جبل قاسيون فى دمشق ، وبقيت آثاره حتى دخول الحلفاء إلى سوريا عام ١٩٤١ ، إذ خربته القنابل أثناء ضرب المراكز العسكرية فوق هذا الجبل ، كما أمر بعض الرياضيين بحساب طول محيط الأرض ، وقاس هذا المسافة الواقعة بين عاصمة الملك ببغداد ومصيف الخلفاء — الرقة — واستنتج منها طول المحيط . وأنكر أقوام وعلماء آخرون صحة هذه النظرية ، فقال بعضهم ببطلانها وانبساط الأرض

التى تنتهى شمالا بجبال « قاف » ، تلك الجبال التى كثر حديثهم عنها ، ولعلهم يقصدون بها جبال « قافقاسيا » ، لأنها وقفت أمامهم كالحصن المنيع تحول دون أطماعهم فى الفتوحات الشمالية لارتفاعها أو لكثرة الهوام والحيوانات المتوحشة فيها

وفتح العرب الأندلس وأسسوا فيها مدنيتهم الزاهرة التى ضاهت مدنيتهم فى الشرق ، وأخذ عنهم الغرب العلوم والفنون ، فاستنارت أفكارهم بعدما كانت فى ظلمة دامسة ، وقام منهم الفلاسفة الكثيرون بعضهم يدعى كرويتها والآخر ينكره ، وقاسوا فى سبيل ذلك مر العذاب ، لأن ذلك كان ينافى التعاليم الكنيسية التى تؤمن بسطها ، وحبطت الفكرة زمناً طويلا ، وحكم على الكثيرين بالموت جزاء لموقفهم من الدين ، ولكن بعض الشباب آمنوا بما آمن به أساتذتهم العرب بكرويتها وقاموا بالدعاية الواسعة لها ، وكان على رأسهم كريستوف كولومبس الذى استطاع أن يقنع الملك فرديناند وزوجته الملكة إزابيلا بما مناها من الفتوحات العظيمة التى ترفع شأن مملكتيهما الفتية وبالسيطرة على طريق الهند التى يسيطر عليها أعداؤها المسلمون فيما إذا لاقى مشروعه النجاح . فأقدم هذان الملكان على تجهيزه بما يلزمه من السفن وتزويده بالمؤن والرجال من المحكوم عليهم بالإعدام أو السجن المؤبد طمعاً فى إعلاء اسمهما فى الوقت الذى كان فيه الاعتقاد السائد بأن هذه الطريق البحرية الذاهبة إلى الغرب ستؤدى حتما إلى جهنم حيث تنام الشمس فى مهدها . وبعد جهد وعناء وصل كريستوف الهند المزعومة وسماها « جزائر الهند الشرقية » ، وعاد منها موقراً بالهدايا الغريبة والنفائس النادرة من حلى وذهب وديكة هندية وإنسان أحمر وغيرها مما لاشى العقائد الفاسدة البالية ، ثم وشى الوشاة عند الملكين بكريستوف ، فزج فى السجن حيث قضى نحبه . وذهب رحالة إلى هذه الهند يدعى أمريكو حيث قام بالتجول فى ربوعها وأثبت أن هذه البلاد ليست سوى عالم جديد لم يكن معروفاً من قبل فسميت باسمه أمريكا ، وقام ماجلان برحلته الاستكشافية الشهيرة[1] فطاف حول العالم ذاهباً من الغرب آيباً من الشرق ، عندما تلاشت نظرية انبساط الأرض وذهبت إلى الأبد

قامت الدول تتسابق فى الاكتشاف والاستيلاء على البلاد والجزر المجهولة ، حتى كادوا يأتون عليها كلها ، فعمدوا إلى اكتشاف القطبين الأرضيين الشمالى والجنوبى ، ولاقوا فى سبيلهما الأهوال لشدة الصقيع وهبوط درجة الحرارة إلى ما لا يحتمله الجسم البشرى حتى وفقوا إلى ذلك فى أواخر العصر المنصرم .

اكتشاف القطبين الشمالى والجنوبى

لما كان القطب الشمالى قريباً من البلاد المتمدنة كان غاية المستكشفين وهدف الدول الكبرى التى أحبت أن تستأثر بالفخر دون غيرها ، فهبت تتسابق إليه ولاقت فى سبيله من المشاق والمتاعب ما لا يوصف . ابتدأت الرحلات منذ نهاية القرن السادس عشر ، وبعد جهد وعناء كبيرين وعلى يد الأميرال الانكليزى «روبرجان لهميزوريه R. bert Gean le Mésurier» (المعروف بـ — ماك كلور Mac—Clnre المولود سنة ١٠٠٧ — ١٨٧٣) تم اكتشاف الطريق الأول الشمالى الغربى (بين خليج هدسن Baie d' Hudson ومضيق بيرنغ Litroit de Béring) بين سنة ١٨٥٠ و ١٨٥٤ م . وعلى يد الرائد الرحالة الطبيبى السويدى نلس آدولف إريك Nil Ado f Eric (المعروف بـ — نوردانشولد Nordnshjœld المولود فى هيلسينغفورس ١٨٣٢ — ١٩٠١) تم اكتشاف الطريق الثانى الشمالى الشرق بين سنة ١٨٧٨ و ١٨٧٩ م . وفى هذا القرن بدأ العلماء بتشكيل بعثات علمية غايتها اكتشاف القطبين توسيعاً لعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) فأرسلت انكلترا بعثات اكتشفت بعض الجزر القطبية شمال كندا ، ثم كثرت الهيئات التى تقصد القطبين إلى أن خرج الدكتور « فريد جوف نانسن Fridt jof Nansen » الرحالة الطبيبى (المولود فى ستورفرون Store - Froen ١٨٦١ — ١٩٣٠) مع اثنى عشر رجلا فى سفينة سماها (فرام Fram) صنعت خصيصاً لهذه الغاية ، فسار أولا فى الطريق الشمالى الشرقى واشترى من سواحل سيبيريا عدداً من كلاب الجليد وسار نحو

(١) اقرأ فصلا فى مجلة المختار — عدد ١٣ تحت عنوان « فاتح البحار » .

الشمال حتى بلغ ٨٤ر٤° حيث اضطر إلى قضاء فصل الشتاء ؛ ثم ترك سفينته وواصل السير مع أحد رفاقه مشياً على الأقدام تصحبهما الزحافات والكلاب وبعض الآلات الفنية حتى بلغا عرض ١٣ و ٨٦° ثم رجعا حتى وصلا أرض «فرانسوا جوزيف» حيث قضيا فصل الشتاء ؛ وهناك التقيا بسائح انكليزي اسمه « جاكسون » فتعرفا إليه وركبا معه في سفينته حتى وصلا بلاد النرويج ، أما سفينة فرام فقد عادت بعد أن تخلصت من الجليد الذي كان محيطاً بها . وفي سنة ١٨٩٩ سافر الدوق « ده زابرزو Duc des Abruzzes » الإيطالي فدخل أرض فرنسوا جوزيف وسار فيها بالزحافات حتى وصل عرض ٣٣ر٨٦° متقدما نانسن بعشرين دقيقة أي ما يعادل ٣٧٫٠٣٧ كيلومترا . وفي سنة ١٩٠٥ سافر الضابط الأميركي « بياري Beary » (المولود في كريسون سبرينغ Creson Springh سنة ١٨٥٦ — ١٩٢٠) نحو القطب ماراً ببحر بافن إلى أن وصل إلى شمالي غروتلنده فنظم هناك بعثة مؤلفة من أمريكيين وأقزام سارعهم ومعهم الكلاب والزحافات مدة شهر كامل ، ثم تقدمهم بخمسة من أشجع رجاله حتى وصل القطب في مايو ١٩٠٩ ورفع عليه العلم الأمريكي . وفحص تلك الجهات فوجدها بحراً تكسوه الثلوج عمقه ٣٠٠٠ متر . وأهم الأراضي التي اكتشفت في هذا القطب هي جزر فرنسوا جوزيف ، وزامبل الجديدة ، وسبيتزبوغ في شمالي أوربا ، وجزر سيبريا الجديدة ورانجل في شمالي آسيا ، وأراضي غروئنلنده وبافن غرانت والبرنس دوكال والملك غليوم وفيكتوريا وآليروبانكس وملفيل وباري في شمال أمريكا .

أما القطب الجنوبي فكان الكابتن « كوك Cook » الانكليزي أول من اجتاز مدار القطب الجنوبي أثناء بحثه عن قارة جنوبية فوصل سنة ١٧٧٤ إلى عرض ١٠ر٧١° حيث منعه الجليد عن التقدم . ثم أرسلت روسيا بعثة برئاسة « بلنغهاوزن Bellingshausen » في أوائل القرن التاسع عشر فاجتازت مدار القطب الجنوبي واكتشفت أرض الاسكندر الأول (باسم القيصر) وفي سنة ١٨٣٨ اكتشف « دومون دورفيل Dumont d' urvlle » الفرنسي أرض لويس فيليب (باسم ملك فرنسا) وبعد سنتين اكتشف أرض آديلي . وفي سنة ١٨٤٠ اكتشف (جمس روس James Rose) الانكليزي أرض فيكتوريا ذات البراكين المتعددة ووصل بعد سنتين إلى عرض ١٠ر٧٨° . وفي سنة ١٩٠٠ سافر من انكلترا « سكوت Scoutt وشاكلتون Chakleton » واكتشفا أرض إدوار السابع وواصلا السير بالزحافات إلى عرض ١٧ر٨٢° حيث مكثا يستكشفان ثلاث سنوات . وفي سنة ١٩١٠ سافر « آموندسن Amunden » (المولود في بورج — في النرويج Börje سنة ١٨٧٢ — ١٩٢٨) في سفينة اسمها « نانسن » نحو الجنوب مخترقاً بحر روس ؛ وقد اضطر إلى أن يقيم في كوخ خشبي فوق أرض جليدية مدة الشتاء ؛ ثم أخذ أربع زحافات وكلابا ومؤنا تكفيه أربعة أشهر واتجه نحو القطب إلى أن وصله في ديسمبر سنة ١٩١١ . وفحص تلك الجهات فوجدها أراضي جبلية بركانية ارتفاعها ٣٠٠٠ متر وهي أشد برداً من المنطقة الشمالية تهب عليها الرياح الغربية القارسة وينزل فيها الثلج أكثر أيام السنة حتى لوحظ أنه نزل فيها أكثر من ٣٠٠ يوماً في السنة . وأهم الأراضي التي اكتشفت في هذا القطب هي أراضي الاسكندر الأول وغراهام ولويس فيليب وجزر جوانفيل وآنفرس وشتلاند الجنوبية وأوركاد الجنوبية — جنوب أمريكا ، وأراضي آندربي جنوب أفريقيا ، وأراضي آديلي وفيكتوريا وإدوار السابع جنوب أستراليا

الأقزام الإسكيمو Esquimaunx : يطلق هذا الاسم على الأقوام التي تقطن منطقتي القطبين الشمالي والجنوبي . ومعنى كلمة « اسكيمو » في اللغات الغربية « آكل اللحم النيء » ويسمون أنفسهم بالرجال ونسميهم بالأقزام لقصر أجسامهم التي لا تتجاوز الستين سنتيمترا ، وهم بُدْن ذوو عضلات قوية وسواعد مفتولة وأرجل غليظة معوجة ، لونهم أسمر ورؤوسهم كبيرة مستديرة مغطاة بشعر أسود غليظ وأنوفهم عريضة وعيونهم سوداء صغيرة وأفواههم واسعة وشفاههم غليظة في داخلها أسنان بيضاء لامعة وجلودهم ناعمة الملمس ، ولباس الرجل شبيه بلباس المرأة ؛ لذا كان التمييز بينهما صعباً . والفرق بينهما أن النساء يمشطن شعورهن . ثم يعقدهن تيجانا والرجال يدعونها على طبيعتها ولكنهم يقصون الغرة كيلا تحجب العيون .

بيوت الإسكيمو : في بعض البلاد مثل شمالي سيبريا وجنوب غربي غروئنلندة تبنى قبائل الاسكيمو بيوتا من الحجر والطين ، أما في

الأصقاع القطبية فلتعذر وجود هاتين المادتين فإنهم يسكنون بيوتا من الثلج تتسع لثلاثة أو أربعة أشخاص تقام جدرانها على جانب حفرة من الأرض ذات باب صغير يضطر الداخل إليها أن يحبو على أربعة ، وهي معتمة تتصبب بللا من حرارة ذبالات المصابيح التي يشع منها قبس ضئيل من النور توقد بزيت الحيتان وشحوم الدببة ، ولذا كانت كريهة الرائحة لا يستطيع الإنسان البقاء فيها لقذارتها ولكثرة الأكوام اللحمية المتجمدة المكدسة فيها ؛ ولكونهم يبولون فيها ويضعون الجلود وما يصطادونه بها .

وبفضل التضافر والتعاون بين عائلات هؤلاء الأقوام فإن أكبر قصر يمكن أن يشاد بسويعات قليلة ، فترى قوما ينشرون الجليد وآخرون يجمعون شتات النشارة وقطع الثلوج الصغيرة ، والبناء يتناول الحجارة ويضعها في المكان المخصص لها ويثبتها بهذه النشارة بدلا من الطين ولا تلبث بعد أن تتعرض للصقيع قليلا أن تصبح قطعة واحدة . وهذه البيوت عند ما تكون جديدة تبقى جميلة ومغرية بلونها الرخامي الفاخر ثم لا تلبث بعد قليل من سكناها حتى تصبح أنتن من أختها .

والأقزام لا يعرفون الزراعة ولا الصناعة اللهم إلا فيما ينحصر فيما يصطادونه من الحيوانات البرية والبحرية ، يأكلون لحما طريا من الحيتان المتنوعة وعجول البحر والفوك والمورس وأنواع مختلفة من الأسماك ، فتراهم جثاة على ركبهم وجذوعهم مائلة إلى الأمام لا يبدون حراكا إلا من أيديهم النهمة وأمامهم طست هائل ملؤه قطع كبيرة من اللحم يقبض كل منهم بيديه وأسنانه القاطعة قطعاً كبيرة من اللحم بعالجها حتى يقطعها ولا يكاد يلتهمها حتى تسرع يداه إلى قطعة غيرها . ومما يؤثر عن طعامهم هذا أنه لا يعتبر صالحاً للأكل إلا بعد أن يكدس بعضه على بعض مدة طويلة من الزمن ريثما يتفسخ وتظهر رائحته المنتنة الشهية وفي هذه الحال ينشر الحرارة الكافية في الجسم أكثر مما لو كان طريا .

والصيد هو عملهم الأول الذي يتوقف عليه مدار معيشتهم واكتساؤهم بالألبسة الفرائية المتنوعة ؛ ولهم فيه فنون وحيل لا يضارعهم فيها إنسان آخر . وكيفيته أن يأتي الصياد (وكثيراً ما يكون طفلا صغيراً لم يتجاوز الخامسة أو السادسة من العمر) ويحفر بحربته الطويلة المسننة المربوطة من أسفلها بحبل طويل الجليد الساتر تحت سطح البحر ولا يجهد نفسه كثيراً حتى يبلغ الماء فيبدأ بتوسيع الحفرة ويقف بجانبها وقفة الهر على أبواب جحر الفأر حتى إذا ما سمع صوت سباحة الطريدة انتصب قائماً ورفع بيده إلى الأعلى وسدد السهم نحوها حتى إذا ما مرت قذفها قذفة قوية تخترق أضلاعها ، وهناك تقع الواقعة الكبرى فالحيوان يجذب الصياد تارة والصياد يجذبه أخرى ، وكثيراً ما يتغلب الحيوان عليه فيجذبه نحو الحفرة ، وعندها يأخذ في الصياح الذي يدوي في الآفاق فيترا كض القوم رجالا ونساء لنجدته ، ولا يكادون يخرجون الفريسة خارج الحفرة حتى يستل كل منهم مديته ويغرسها في جلد الفريسة وهي حية دلالة على مشاركته إياهم في صيدها . وهذه العملية تخوله حق المشاركة في لحمها فيقطع قطعة كبيرة منها ويقذفها في فيه وبعد مضغ طويل يبتلعها ثم يربطونها بحبالهم ويسحبونها حتى يصلوا إلى بيوتهم فيقتسموها . وإذا جاء الشتاء وجمد الماء صادفوا عجول البحر وقد أحدثت في الجليد ثغراً وطلعت تستنشق الهواء فيصوبون إليها حرابهم ويرمونها وقد يترقبون ظهورها من هذه الثغرات حتى إذا ما خرجت اقتنصوها . وكذلك يصطادون الطيور المائية المختلفة ويقتلون ذوات الفراء من الثعالب والدببة القطبية البيضاء إلا أن هذه تقطع قلوبهم من الرعب لشراستها .

* * *

التجارة عند الأقزام محدودة تقتصر على بيع جلود الحيوانات والفراء والعظام وعاج المورس ؛ ويبيعون هذه المحاصيل إلى البلاد المجاورة كسواحل أمريكا الشمالية وروسيا وسيبريا وهي تدر عليهم أرباحا طائلة يشترون بها ما يلزمهم من المواد الأولية كالحبوب والمقددات والسكر والشاي والقهوة والكاكاو وغير ذلك من المواد التي لا تتأثر بطول العهد ، والألبسة الصوفية والقطنية الجاهزة وبعض الآلات الحديثة كالحاكي والألاعيب الصبيانية وغيرها . ويندر تعاطيهم التجارة فيما بينهم لعدم وجود ضرورة للمبادلة . وينقلون هذه المتاجر من وإلى البلاد المتعددة بواسطة الزاحفات في الأصقاع المتجمدة والزوارق في البحار المائعة. ويعودون أولادهم منذ نعومة أظفارهم على الأسفار والأعمال الشاقة فهم يضعون القوارب الصغيرة من جلد المورس وعظام الحيوانات

فى أيام الصيف ويسابقون بها الريح فى جريها حتى إذا ما وصلوا البر سحبوها معهم وتركوا عندها نفراً منهم يحرسها ، وكذلك الزحافات التى تجرها الكلاب فوق الأراضى المتجمدة .

***

انقطاع الأقوام فى بلادهم النائية عن العالم المتمدن ، وانزواؤهم فى الأصقاع الجامدة وتعذر الانتقال بين بعضها وبعض إلى مسافات بعيدة بالسرعة التى تقتضيها الحياة العصرية ، وعدم سلوكهم فى الارتزاق مسلك الأمم الباقية بتبادل المحصولات الزراعية والحيوانية والمعدنية وغيرها مما قد يوجد فى قسم من البلاد ويندر فى غيرها لعدم حاجتهم إلى ذلك ولتساوى أراضيهم فى منتجاتها التى تنحصر فى صيد الحيوانات البحرية والبرية والاكتساء بجلودها والتقوت بلحومها ، جعلهم يقنعون بما رزقهم الله ولا يطمعون فى الحصول على ما فى أيدى الغير من بلاد ومتاجر أو سلع وغيرها ، وجعل منهم الأمة العاملة المجدة التى تسعى للحصول على قوتها الضرورى بهمة لا تعرف الكلل دون الاعتماد على سواعد الآخرين ، لذلك لا يعرفون رابطة قومية أو دينية ولا تجمعهم عصبية أو جنسية ، هذا التفكك القومى نراه ظاهراً حتى بين أفراد الأسرة الواحدة فإذا بلغ أحد أفرادها سن الكبر أو أصيب بمرض أو عاهة تمنعه من القيام ببعض الأعمال الضرورية بحيث يصبح عالة على غيره حق للأولاد والأفراد الآخرين أن يأخذوا هذا المسكين إلى مكان بعيد مرتفع ثم يجردونه من لباسه ويتركونه عرضة للرياح القارسة إلى أن يموت . وليس هناك قيود عائلية أو زوجية قوية كما بين باقى الأمم ، بل هى شكلية من حيث المأوى والاشتراك فى الأعمال المنزلية وتربية الصغار وأعمال الصيد وغيرها . والغريزة الجنسية يمكن أن تقضى بين أى فرد من أفراد العائلة أو غيرها ، بين الجار وجارته وبين الأخ وزوجة أخيه والأخ وأخته حتى بين الأب وابنته والولد وأمه . ويمكن أن يجرى هذا العمل بحضور الزوج الأصيل وعلى مرأى منه دون أن يبدى أى اهتمام (بشرط أن يأذن بذلك) إلا أن هذه الأعمال البهيمية آخذة فى الزوال بعد اختلاطهم بالأقوام المتمدنة وخاصة بعد ما توافدت عليهم البعثات الدينية التبشيرية وبعد أن صاروا يسافرون لبيع متاجرهم إلى غرونتلنده وشمال أميركا وآسيا وهم آخذون فى الرقى والتمدن تدريجاً .

أما لغتهم فإنها ضيقة محدودة بحدود المناطق التى يتجولون فيها فهى قليلة الكلمات كثيرة المعانى ، تفيد الكلمة الواحدة منها معنى عشر كلمات أو أكثر من اللغات الأخرى . لذا وضعت فى جملة اللغات الجامدة التى يحق أن تكون مثلها الأعلى فى الجمود ، وهم أميون ولا كتابة للغتهم

طبائعهم وعاداتهم : إن القزم بعضلاته القوية وساعديه المفتولين وساقيه الأعوجين يستطيع بكل سهولة أن يصعد أشهق الجبال دون أى جهد أو كثير عناء ، فيقذف بحبله على صخرة عالية حتى إذا ما علق بها جربه مراراً ، فشده بقوة وتعلق به ، فإذا تأكد من ثباته لف طرفه على ساقه وصعد عليه بسرعة ، فلا تكاد تراه فى أسفل الوادى حتى تراه يتراكض فوق قمة الجبل ، ثم ينزل ويضرب حبله حتى يسقط فيأخذه وينصرف . وهم ذوو شجاعة وصبر ورأى سديد ونفوس أبية وقلوب رحيمة شفيقة يكرمون الضيف ويؤثرونه على أنفسهم . وهم فطريون يميلون إلى النكتة واللهو والضحك والفكاهة ، فيخزون بعضهم ويثرثرون ويسحبون الزحافات إلى الخلف أثناء مسيرها ويقهقهون ، أما الكذب والمكر والخداع والبغض والضغينة ، فلا أثر لها لديهم ألبتة ، وهم يحبون استماع الحاكى التى يعيدونها كلما انتهت مراراً ، ويجلسون فى بيوتهم الجليدية المعتمة إلى جانب بعضهم وبين أيديهم الجلود والعظام والشحوم ، فهنا امرأة تلين نعل زوجها المتقلص من شدة البرد بدهنه بالشحم والشمع وبشده بأسنانها وتساعده بلبسه وشده على ساقه ، وهنا أخرى تعهدت المصباح تنظفه وتمده بالشحوم ، وثالثة تنظف ولدها وتمشطه بمشط مؤلف من عظم الفوك وشعر الدب ثم تبيد القمل الناتج عنه بأسنانها ثم تلحس جسمه وتدهنه بالشحوم ، وأخرى تنظف وتلين الفراء وتصنع الحراب العظمية للصيد والدفاع عن النفس ضد الحيوانات المفترسة . وهناك زوجة تمد زوجها بالطعام كلما نفد من فيه وهو مستلق على ظهره . ومما يؤثر عنهم أنهم يحيون بعضهم بحك أنوفهم ببعضها ويقال إن هذه العادة المضحكة أصبحت لا تشاهد إلا عند الأقوام النائية .

(حلب) **محمد وحيد الدين المصرى**

رسالة لبنان خلال العصور

للأستاذ توفيق حسن الشرتوني

لا جدال فى أن موقع لبنان الجغرافى يجعل منه بلداً متعدد الرسالات . فهو قائم فى جبهة الشرق الأدنى على مفرق الطرق بين الشرق والغرب . تمتد سواحله المستطيلة على شاطىء هذا البحر الأبيض المتوسط ، بحر الحضارات والمدنيات العريقة التى تعاقبت على الجنس البشرى منذ فجر التاريخ .

وهذا يعد بالحق من أجمل بقاع الأرض ، خلعت عليه الطبيعة أبهى الحلل ، وكست ربوعه بمختلف المحاسن والمغريات ، فأضفت على جباله الشامخة روعة الجمال والجلال ، تكلل نواصيها لألىء البرد وبريق الثلج ، وتجلل آكامها نواتى الصخور وبواسق الشجر ، وتتفجر فى جنباتها أنهار وجداول تتدفق باللجين المصفى وتنساب بين الصخور والمروج فى أودية رهيبة أخاذة كثيرة التعاريج فتانة الصور تبهر العين وتسحر اللب ، وتأخذ بمجامع القلب .

ولبنان فوق ذلك ، بلد معتدل المناخ طيب الهـواء والماء ، يتسربل بأروع المشاهد فى مختلف فصوله : صيفه روح للب وراح للقلب ، وخريفه بهجة للنفس وغبطة لها ، وشتاؤه شلال زاخر وثلج مندوف باهر ، وربيعه رمل مخضوضر ورجاء عابق بالشذا ، ومدنه وقراه جنان متنوعة الأشكال ، بعضها قائم على الشواطىء يهدهدها البحر ويداعبها بكره وفره . وبعضها منتشر بين السفوح والتلال انتشار النجوم فى الفضاء تحيطها هالة من الرياض الغناء المثقلة بأزكى الأثمار وأندى الأزهار .

كأن العناية الربانية قد أبدعته درة يتيمة فى جبين المشرق وجعلته قبلة للمصطافين ومحطاً لرحال الرواد والمتزلجين .

أما آثاره القديمة فترجع إلى أقدم العهود ، وكلها تدل على الدور العظيم الذى لعبه لبنان فى مجرى التاريخ البشرى ، وتعبر بأجلى بيان عن الرسالة الإنسانية البارزة التى يحملها بين جوانحه وينشرها على توالى الأجيال فى أصقاع المعمور .

وقد كانت أولى رسالاته فى عصر الظلام المطبق رسالة الدعوة إلى قدح زناد الفكر وتشغيل الذهن لأجل تمييز الإنسان عن الحيوان وتبديل حياته الوحشية بحياة أقل همجية وأكثر ائتلافاً .

فأبدع أبناؤه فى العصر الحجرى فى اختراع أدواتهم الصوانية وفى صنع كهوفهم وستر عريهم وجمع شتات شملهم .

وكانوا السباقين أيضاً فى عهدهم الفينيقى إلى وضع أول حجر فى بنيان الحضارة الراهنة . فهم أول من اخترع حروف الهجاء ونشروا رسالتها بين الأمم ، وحملوا مشعلها الساطع فى متون البحار ومجاهل البوادى والقفار ، فخلقوا بها العلم خلقاً ، وأسسوا بها للمدنية أساساً مكيناً .

وهم أيضاً أول من أنشأوا السفن ومخروا عباب اليم ، فربطوا العالم القديم برباط تقايض السلع والمتاجر وتبادل الأفكار والآراء ، وتقارب الشعوب بعضها إلى بعض بالصلات السياسية والاجتماعية وغيرها .

وكانت مدن لبنان من أمهات مدن العالم فى العهد القديم ، تصدر أرجوانها وأصباغها ونتاج صناعها الحاذقين كما تصدر آدابها ومعارفها إلى مختلف أنحاء الأرض .

فتاريخ صيدا وصور وجبيل حافل بالعظائم . وقد أنشأ لبنان أيضاً فى عهده الفينيقى عدة مستعمرات فى أفريقيا وجنوبى أوروبا ، غير أنه كان يرمى من انشائها إلى توطيد أسس التجارة وتعزيز تبادل المنافع بين الأمم ، لا إلى الفتح والأستئثار بحرية الآخرين كما تفعل أمم اليوم . فلبنان لم يكن فى عهد من العهود دولة مجتاحة قائمة على السيف والدفع والقوة الغاشمة بل كان ولم يزل بلداً مسالماً حاملا رسالة العلم والأدب ناشراً لواء الصناعة والتجارة فى كل صقع وناد .

وفى العهد الرومانى لبث لبنان محافظاً على رسالتـه الأدبية فكانت بيروت عاصمته اليوم تلقب بمدينـة الشرائع والنواقيس يؤمها الطلاب من جميع أنحـاء الامبراطورية الرومانية الفسيحة الأرجاء . وفى العصر البيزنطى ثار لبنان على الجور والظلم وسجل أبناؤه الأشاوس فى تاريخ الحرية الإنسانية صفحة مجيدة حتى أنهم لقبوا بالمردة لشدة تمردهم وقوة شكيمتهم وانتقامهم .

وفى أوائل العهد العربى دخل لبنان أنخـاذ من بعض القبائل العربية ومعظمهم يدينون بالنصرانيـة ونشروا بين ظهرانيه لغة الضاد ، فاعتنقها أهل لبنان عامة لأنها شقيقة لغتهم الآرامية السريانية تقرب منها حروفاً وصـوراً ، ولأنهم أيضاً يمتّـون

بأنسابهم السامية إلى تلك القبائل التى أنزلوها بينهم على الرحب والسعة . فاستعرب لبنان سهلا وجبلا مندفعاً لا مرغماً ، وأصبحت العربية لغته الوحيدة . أما السريانية فانكمشت ضمن جدران الكنائس والمعابد ، تستعمل فى بعض الطقوس الدينية كما تستعمل اللاتينية فى الغرب .

وكان لبنان فى خلال الحكم العربى ملتقى الشرق والغرب ، وصلة وصل بين أممهما فى عهد البيزنطيين والصليبيين . فاجتمعت فيه الحضارتان وتعانق الدينان دين الإنجيل ودين القرآن .

ولما انقرضت دولة العرب وخلفهم العثمانيون فى الحكم دانت لهم البلاد العربية من أقصاها إلى أقصاها إلا لبنان فظل وحده محتفظاً باستقلاله الداخلى يحكمه أمراؤه ومقدموه . وبقيت اللغة العربية الشريفة زاهية زاهرة ضمن جدران أدياره ومعابده وفى ظلال خلواته ومساجده ، لم تتسرب إليها العجمة والرطانة كما تسربت إليها بين اقحاح العرب أنفسهم ، حتى الحجاز واليمن وهما منبع العروبة ومعقلها لم تسلم لغتهما من حوشى التركية وغريب ألفاظها .

وقد بلغ لبنان فى عهد الأمير الكبير فخر الدين المعنى مكانة رفيعة ، فهابه السلطانى القانى وخطب وده بعض ملوك الفرنجة وأكبروا شأنه وشأن وطنه الصغير فتبادل معهم الرسل والهدايا وحالفهم محالفة الند للند، وزار إيطاليا فقوبل بمقابلة أصحاب التيجان ، واختلط بسكانها واستوعب حضارتهم . ثم آب إلى وطنه يعمل على تمكن الصلات الروحية والمادية بين الشرق والغرب ، فأوغر صدر الترك عليه وأصلوه حرباً ضروساً أقضت مضجعه وأبادت أحلامه وأمانيه . فاستسلم مرغماً إليهم وقضى نحبه شهيداً فى عاصمتهم .

وحذا خلفاؤه المعنيون والشهابيون حذوه فى العناية بلغة الضاد ، لغة الوحى والنبوة . فلم تصب بالتشويه ولم تفقد نقاء أسلوبها وصفاء بيانها ، لأن اللغة التركية لم يسعدها الحظ طوال الحكم العثمانى فى بلاد العرب بأن تخطو خطوة فى لبنان أو تعبر قدماً . بل ظلت خارج حدوده عاجزة عن اجتياحه . وظل لبنان مضطلعاً أيضاً برسالته الإنسانية المجيدة رسالة تبادل المنافع بين الشرق والغرب وتمازج حضارتيهما .

وقد شعر العالم اليوم بعد طول المحن والتجارب بأن رقى البشر وسلامهم لا يأتيان بدون تزاوج الحضارتين وتواؤم الثقافتين .

وعاد لبنان إلى سابق عزه وازدهاره فى عهد الأمير بشير الكبير حليف عاهل مصر الأكبر محمد على باشا رأس الأسرة العلوية الملكية سعيداً فى وادى النيل .

فوقف الأمير بجانب إبراهيم باشا فى حملته المشهورة على ربوع الشام ، وأمده بالرجال والمؤن ، فازدادت العلاقات الودية بين الكنانة ولبنان وتمكنت الصلات الأدبية والمادية بين شعبيهما تمكناً وثيقاً . والصلات بين القطرين الشقيقين قديمة العهد ترجع بجذورها البعيدة إلى الفراعنة والفينيقيين ، غير أنها بعثت بعثاً جديداً فى زمن هذين العاهلين الكبيرين .

وقد استقدم محمد على باشا الكبير بعض الأسر اللبنانية إلى مصر لإنشاء صناعة الحرير وغيرها . ثم شرع أحرار اللبنانيين منذ ذلك العهد يهبطون مصر زرافات ووحدانا فيلقون من أسرتها المالكة كل عون وتشجيع وفى شعبها المضياف كل عطف وترحاب . فاشتغلوا فى حقل الصحافة والأدب ونشر لواء العلم ، وكانوا المجلين فى هذا المضمار يشهد لهم كبار رجالات هذا القطر الشقيق وصفوة علمائه وأدبائه البارزين . وبلغوا فى حقل الزراعة والتجارة والصناعة مبلغاً مرموقاً وفى ميادين المهن الحرة والوظائف الحكومية منزلة سامية . فخدموا مصر خدمة صادقة منزهة عن الهوى .

ولما انطوى حكم الأمراء فى لبنان بعد الحوادث المشؤومة عام ١٨٦٠ صغر حجمه وانكمش فى جباله من جراء النظام الجديد الذى أعده له الداهية العثمانى فؤاد باشا بالإتفاق مع أقطاب الدول الأوروبية الكبرى . فضاق على سكانه فى عهد المتصرفين فكثرت هجرتهم إلى مصر لقربها من وطنهم وقديم صلاتهم بها . فأصبحوا فيها جالية وافرة العدد تنعم بالثروتين ، ثروة الأدب وثروة النسب .

ثم شرع اللبنانيون يهاجرون إلى العالم الجديد وذلك منذ سبعين عاماً على وجه التقريب ، فنزلوا فى شتى أقطاره مجاهدين فى سبيل الحياة ، ورأس مالهم شباب وثاب ، وذهن وقاد ، وعزم قدّ من جلاميد جبالهم وشوامخ أرزهم ، فلم يلبثوا طويلا حتى كثر عدد جالياتهم فى مختلف الجمهوريات الأميركية ، وبلغوا فيها شأواً لا يستهان به فى عالمى الصناعة والتجارة ، ونبغوا فى المهن

الحرة وفى حقل السياسة والعلم والاجتماع ، وفى إجادة لغات الأمم التى نزلوا بين ظهرانيها . وانشأوا الصحف والمجـلات فى لغتهم العربية وكانوا وما برحوا فى طليعة الحاملين لواء التجديد بين أدبائها والناشرين كنوزها فى أقطار المعمور .

وهبطوا أفريقيا وامتدوا فى أصقاعها النائية امتداد النيل فى أرجاء الكنانة . وجابوا أوروبا وأرجاء الشرق وسروا فى أقاصى الأرض مجـاهدين سريان الدم فى الشرايين . فأصبحوا خارج بلادهم أوفر عدداً وثروة ، وأعز نفوذاً وجاهاً ، وأرقى أدباً وعلماً منهم فى بلادهم .

فانشطر لبنان شطرين ، لبنان المغترب المنتشر تحت كل سماء ، ولبنان المقيم الرابض فى بطون أوديته ومشارف جباله .

ولا أغالى إذا قلت إن لبنان المغترب قد سجل صفحة مجيدة فى التاريخ الحديث ، فأظهر أبناؤه المشتتون فى بقاع الأرض أنهم أعلام فى كل علم ، أكفاء فى كل فن ، أقطاب فى كل صناعة ، وأنهم متى فسح لهم المجال يجارون أرقى الأمم فى جليل الـآثر وغرر الأعمال .

وقد برهنوا فى هذه الحرب أيضاً أنهم شعب متقدم حى جدير بالتقدير والإعجاب لم يتلـكأوا عن القيام بواجبهم نحو الحرية التى يقدسونها والديموقراطية التى يتعشقونها . فتجندوا بالألوف فى صفوف الحلفاء ، وأبدوا فى ساحات الحرب شجاعة وبأساً وفى مصانع الأسلحة والمختبرات ذكاء وعلماً . فهم فى هذه الحرب قد حاربوا فى كل الجبهات متطوعين فى جحافل الأمم المتحدة بين الإنكليز والفرنسيين والـكنديين والأميركيين والأستراليين والنيوزلنديين والهنود والأفريقيين وغيرهم . لقد صح فيهم المثل العربى القائل : فى كل واد أثر من ثعلبة . أجل فى كل جيش من جيوش الحلفاء مفرزة من لبنان تساهم فى إحقاق الحق وإزهاق الباطل ، كما أن فى كل قطر من أقطار المعمور تقع العـين على جالية لبنانية عزيزة الجانب جليلة المفاخر .

ولم ينس المهاجرون وطنهم لبنان ، فهم يساهمون على الدوام فى مساعدة أهله وتدبير عمرانه ؛ فلهم فى كل بقعة من بقاعه آثار مخلدة ومكرمات لا تحصى . لقد أقالوا عثرته وانتشلوا أبناءه من وعثاء الفاقة والجهل ، وشيدوا فى مختلف مدنه وقراه أجل المنازل وأفخم القصور ، فأصبح لبنان بفضلهم بلداً ديموقراطياً عامراً ، لا أمية فى أهله ولا أرستوقراطية مستأثرة فى ربوعه .

أما لبنان المقيم فهو على الرغم من رقيه الأدبى والعلمى وتقدمه الصناعى والتجارى لا يزال دون لبنان المغترب تقدماً وطموحاً ، لضيق نطاقه ، وضآلة حجمه ، وعدم اتساعه لاستثمار شتى القوى والمؤهلات الـكافية فى صدور أبنائه ، ولارتمائه أيضاً فى أحضان الطائفية واشتغاله بالسياسة .

فـدستور لبنان المعمول به حتى اليوم ما برح مؤسساً على الطائفية البغيضة . فالمقاعد النيـابية والوزارات والوظائف الحـكومية كلها موزعة على الطوائف حسب تعدادها كأن لبنان شركة استثمارية يتقاسم ريعها المساهمون لا وطناً موحداً مجموع الـكلمة ، يعمل بنوه لإعلاء شأنه وإنماء موارده ويحكمه منهم من يستحق الحكم وينوب عنهم من يستأهل النيابة دون نظر إلى المذهب الذى يدين به والطائفة التى ينتمى إليها .

أما السياسة فهى داء العالم أجمع لا علة لبنان وحـده ، غير أنها أمست اليوم متفشية بين سكانه تفشياً ينذر بأوخم العواقب ؛ ولبنان بلد صغير لا يتسع لميدانها ولا يتحمل مشاكلها وآفاتها . والسياسـة بؤرة فساد ما دخلت أمة إلا هتكت حجابها ، وما ملكت شعباً إلا فرقته شيعاً تتنافر وأحزاباً تتقاذف وتتباغض .

إن رسالة لبنان الموروثة هى غـير رسالة السياسة أو رسالة التمسك بأهداب الطائفية . هى رسالة عالية صرفة ، تشمل العلم والعمران ، وتستهدف الحضارة المتصلة بالمـادة والروح المشعة فى جوانح الشرق والغرب ، المنبعثة فى الوجدان الحى فى الإنسان ، لا من الشيطان المتحفز فى غريزته .

فليس للبنان المقيم أى مستقبل مجيد بدون نبذ السياسة والطائفية معاً وبدون اهتدائه إلى حكومة رشيدة تعمل فى حقل العلم والعمران دون سواهما .

فلبنان فى الشرق كسويسرا فى الغرب بلد اصطياف واستشفاء ، ووطن علم وثقافة ، يحتاج إلى تحريج جباله ، وتجميل مدنه وقراه ، وتعبيد طرقه ، وتوفير الرى فى بقاعه ، وتسمير الفنادق الحديثة الطراز فى مصايفه ، ونشر العلم فى ربوعه .

وهو بلد عربى الوجه واللسان ، غربى الفكر والثقافة يرتبط بالشرق بروحانيته وعروبته ويتصل بالغرب بعلومه وفنونه .

وما أجل هذا الاتصال والارتباط خيال الوحدة العالمية التى ينشدها الإنسانيون ويحلمون بتحقيقها !

توفيق حسن الشرتونى

٣ ـ نظـــرات
فى دائرة المعارف الاسلامية
الترجمة العربية
للأستاذ كوركيس عواد

ومن الأعلام التى تصحفت ، وقد ينشأ عن ذلك التباس ، ماورد فى ٤ : ٢٨٠ | ٢٤ باسم « بابويه » وكان الأحسن أن يقال فيه « بابوى » (٨١م) وهو الإسم الذى اشتهر به فى كثير من المظان التاريخية ، انظر مثلا : المجدل لمارى بن سليمان (ص ٤١ — ٤٣ طبعة جسمندى فى رومية) ، والمجدل لعمرو بن متى (ص ٢٦ — ٣٤) والتاريخ السعودى (٢ : ٧ — ١٠ طبعة أدى شــير فى باريس ضمن الباترولوجية الشرقية) ، وأعمال الشهداء والقديسين (بالإرمية ٢ : ٦٣١—٦٣٤ طبعة بيجان فى ليبسك) وشهداء المشرق (٢ : ٣٨٠—٣٨٤) وتاريخ كلدو واثور (٢ : ١٤٢—١٤٦) ، ولابور Labourt (ص ١٢٩—١٣٠ ، ١٤٢ — ١٤٣) .

وفى ٤ : ٣٥٤ ب ٦ بهرام كور . والمشهور فى التصانيف العربية الموثوق بصحتها : بهرام جور . راجع مثلا : الأخبار الطوال للدينورى (ص ٥٧ — ٦١ طبعة جرجاس) وتاريخ اليعقوبى (١ : ١٨٣ طبعة هوتسما) والمسالك والممالك لابن خرداذبه (ص ١١٨) وأحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للبشارى المقدسى (ص ٣٣٨) وتاريخ الطبرى (١ : ٨٥١) ومروج الذهب للمسعودى (٢ : ١٥٧ طبعة باريس) وتاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهانى (ص ٢٣) والكامل لابن الأثير (١ : ٢٨٧—٢٩٢) إلى غيرها مما لا يمكن حصره .

وفى ٤ : ٣٧٨ | ٢٦ بهنود بن سهوان . والذى يقرأ فى مختلف طبعات كليلة ودمنة : بهنود بن سحوان .

وفى السطر الأخير من ٤ : ٣٧٨ | على بن الشاة الفارسى . صوابه : على بن الشاه الفارسى (راجع طبعات كليلة ودمنة .

وفى ٤ : ٣٩١ ب ١٣ يُوشع الاسطوانى Joshua Stylites وكان الأحسن أن يقال : يشوع العمودى وقد عرف بهذه النسبة أيضاً مار سمعان العمودى St. Simeon Stylites

وفى ٤ : ٤٠٠ | ٢٣ ظاهر الدين البيهقى ، صوابه ظهير الدين البيهقى ، وهو الإمام ظهير الدين أبو الحسن على بن أبى القاسم زيد البيهقى ، المتوفى سنة ٥٦٥ هـ ، صاحب التصانيف المختلفة ، كتتمة صوان الحكمة (المطبوع فى لاهور) ، وتاريخ بيهق ، ووشاح دمية القصر الخ ...

وفى ٤ : ٤٩٤ | ١٠ (كتاب) الاكليـــل للحمدانى . والصواب للهمدانى ، نسبة إلى همدان من بلدان اليمن .

وفى ٤ : ٥٠٤ | ٢٣ ابن العادم . صوابه : ابن العديم . وهو المؤرخ الحلبى الشهير المتوفى سنة ٦٦٠ هـ مؤلف كتاب بغية الطلب فى تاريخ حلب ، وغيره .

وفى ٤ : ٦١٥ | ١ سيد إعجاز حسين القنتورى . والذى يقرأ على غلاف كتابه « كشف الحجب والأستار عن أسماء الكتب والأسفار » المطبوع فى كلكته سنة ١٣٣٠ هـ : الكنتورى (بالكاف) .

وقد جاء (٥ : ١٣ ب ١٩) اسم بلينى Pliny العالم الطبيعى الرومانى مصحفا إلى Bliny .

ثانيا : الامكنة والبقاع .

قرأنا فى ١ : ١٢١ | ١ أن ابن جزلة الطبيب « كان يعيش فى محلة الكرخ ببغداد » . والصواب فى محلة الكرخ (بالكاف) .

وجاء فى ١ : ١٦١ ب ١٩ « قتل ابن الدمينة فى السوق بمدينة الأبلاء » والصواب «العبلاء» (راجع الأغانى ١٥ : ١٤٧ من طبعة الساسى) .

وفى ١ : ٢٥٥ ب ٢٢ وجدنا مكتوباً بالحروف الفرنجية لفظة Itil وكان يجدر ذكر إسم هذا النهر العظيم بالعربية ، فهو معروف فى كتب البلدان القديمة باسم « إتل » (وزان إبل) أما اليوم فيسمى نهر الفلجا Volga .

وفى ١ : ٢٥٥ ب ٢٢ باشغرد (بالغين) . وبعضهم يقول : باش جرد (بالجيم) أو باش قرد (بالقاف) راجع معجم البلدان (١ : ٤٦٨ ؛ مادة : باشغرد) .

وفى ١ : ٢٧١ ب٢ جند يشاهبور . والأشهر فى المراجع العربية : جند يسابور (راجع هذه المادة فى معجم البلدان) .

وفى١ : ٢٨٢ ا١٦ الفانيكان . صوابه : الفاتيكان . وعندنا أن هذه من أغلاط الطبع .

وقال فى ١ : ٢٩٤ ب ٢٥ « دور بنى أوقر ، وهى محلة على بعد خمسة فراسخ من بغداد » . ولو إنه قال « وهى قرية » بدلا من « محلة » لأصاب المرمى . فقد ذكرها ياقوت (معجم البلدان : ٦١٥ — ٦١٦) بقوله : « وفى عمل الدجيل قرية تعرف بدور بنى أوقر ، وهى المعروفة بدور الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة ، وفيها جامع ومنبر . وبنو أوقر كانوا مشايخها وأرباب ثروتها . وبنى الوزير بها جامعاً ومنارة ، وآثار الوزير حسنة وبينها وبين بغداد خمسة فراسخ ... » اه

وفى ١ : ٣٣٣ ب ١٥ نيشابور (بالشين المعجمة) . والمشهور فى التصانيف العربية . نيسابور (بالسين المهملة) . راجع هـذه المادة فى معجم البلدان .

وفى ١ : ٤٥٤ ب ١٢ ورد اسم أشرسنة . والمعروف فى المراجع القديمة أشروسنة . (بواو بعد الراء) راجع مثلا فهارس تاريخ الطبرى ، وفهارس الكامل لابن الأثير ، والأنساب للسمعانى (مادة : الأشروسنى) ومعجم البلدان (فى هذه المادة) .

وفى ١ : ٥٣٠ ا ١٢ ورد اسم « شفاتيه » . قلنا : هذا من تصحيفات العوام ، نظـــير قولهم شفاثة . والصواب فى ذلك « شفاثا » وقد ورد ذكرها فى غير مرجع قديم ، من ذلك معجم البلدان (٣ : ٧٥٩ مادة : عين التمـر) والكامل لابن الأثير (٩ : ٤٢٣) ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع لابن عبد الحق (٢ : ٢٠٤ طبعة جوينبول فى ليدن سنة ١٨٥٣ ، مادة عين التمر) . وقد وقفنا على بحث للأستاذ كاظم الدجيلى فى مجلة لغة العرب (٣ « ١٩١٣ » ص ٢٥ -- ٣٦) بعنوان « رحلة إلى شفاثا وقصر الأخيضر وأحمد بن هاشم » .

وفى ١ : ٥٦٤ ب ٢ ترجم إسم نهر Araxes بـ « نهر أرس » فى حين أنه معروف عند كتبة العرب باسم « الرس » . راجع : أحسن التقاسيم للبشارى المقدسى (ص ٣٧٩) والأعلاق النفيسة لابن رسته (ص ٨٩) والبـــلدان لليعقوبى (ص ٣٦٤ طبعة دى غويه) والتنبيه والإشراف للمسعودى (ص ٦٢ طبعة دى غويه) ومعجم البلدان (٢ : ٧٧٩) وتقويم البلدان لأبى الفداء (ص ٥٩ — ٦٠) .

وفى ١ : ٥٧٠ ب ١٢ ؛ ١ : ٥٧٥ ب ١٦ ؛ ١ : ٥٧٦ ا ١٩ ألتن كوپرو . والمعروف عندنا فى العراق أنها «ألتون كوپرى» أى جسر الذهب . وفى مجـلة لغة الغرب (٨ « ١٩٣٠ » ص ٧٢٧ — ٧٣٠) مقالة رائعة بعنوان « التون كوپرى فى التاريخ » للأستاذ يعقوب سركيس .

ومن أعلام المواقع التى تصحفت غير مرة (١ : ٥٧١ ا ١٠ و ١١ ؛ ٥٧٢ ب ٢٦ ؛ ١ : ٥٧٣ ا ٢) اسم حدياب » . فقد كتب تارة أديابين Adiabene وطوراً حديب (عند أهل الشام) . وحدياب هى المنطقة الممتدة فى شرق دجـلة بين الزاب الأعلى والزاب الأسفل (أنظر كتابنا : أثر قديم فى العراق . ص ٧٠ حاشية ٢) .

ووردت العبارة التالية فى ١ : ٥٧١ ب ٢٣ » الجزء الأسفل من إربل الواقع فى سفح الجبل الذى يقوم عليه الحصن » والحقيقة هى انه ليس هنالك من جبل ، إنما هو تل ترابى .

وفى ١ : ٥٧٤ ا ١٥ — ١٩ ورد اسم « اينكاوو» والصواب فى اسم هـذه القرية العراقية : « عين كاوا » أو عينكاوا » . وأهلها ليسوا نساطرة على حد ما ورد فى الدائرة ، إنما هم كلدان .

أما « امكاباذ » فمصحفة من « عمكاباذ » على ماجاء فى التاريخ المدنى السريانى لابن العبرى (ص ٥٥٧ طبعة بيجان) أو من « عمكاوا » على ماجاء فى سيرة يابالاها الثالث (ص ١٤٣ و ١٧٦ طبعة بيجان) .

وفى ١ : ٥٧٥ ب ٢٢ — ٢٣ تصحف إسم كوى سنجق أو كويسنجق تصحيفاً ظاهراً إلى سنجق خوى .

وفى ١ : ٥٧٦ ا ٢١ شملك . صوابها : شمامك ، على ماهو مشهور بين العراقيين فى تلك الأنحاء .

وفى ١ : ٦٨٠ ب ١٠ خسروه . صوابها : خسراوه . وهى من أعمال سلماس فى بلاد إيران .

وفى ٢ : ٧٩ ب ١٤ ؛ ٢ : ٨٠ ب ١٨ حصن كيفى . والمشهور فى المراجع العربية الموثوق بها : حصن كيفا .

وفى ٢ : ٢٢٢ ب ١٨ رواندز . والأحسن من ذلك أن يقال : راوندوز (راجع : مفصل جغرافية العراق لطه باشا الهاشمى ، ص ٥٥٤) .

ولا نظن قوله فى ٣ : ١ ب ٢١ إن مدينة الأنبار « فى الشمال الشرقى للعراق » صحيحاً ، ولو قال إنها فى الشمال الغربى منه لأقترب من الحقيقة .

وفى ٣ : ٣ ا ١٣ ورد اسم « كورة العلى » وهى ظاهرة التصحيف ، فقد ذكرها ياقوت (معجم البلدان ٤ : ٨٤٠) .

ونظير ذلك ما ورد فى ٣ : ٢٥٠ ا ١٦ باسم كوثا . والأولى أن تكتب كوثى ، كما جاء فى مسالك الممالك للاصطخرى (ص ٨١ ، ومعجم البلدان (٤ : ٣١٧) وغيرهما من كتب التاريخ والبلدان .

وفى ٣ : ٢٦٠ ب ١٩ عمر خان . صوابها : عمر كان .

وفى ٣ : ٢٦٠ ب ٢٠ بشبيثا . صوابها . باشبيثا ، وهى تسمية إرمية معناها : بيت السبى أو مكان السبى .

ومن التصحيفات البارزة للعيان ، ما ذكر فى ٣ : ٢٦٦ ا ١٤ باسم « نهر السراة » . وصوابه نهر الصراة (بالصاد المهملة) على ما هو مشهور فى أكثر المصنفات القديمة فى هذا الباب . راجع مثلا : كتاب صورة الأرض لابن حوقل (ص ٢٤٢ ، طبعة كريمرز) ، ووصف ما بين النهرين وبغداد لابن سرابيون (ص ٢٤ طبعة لسترنج) وعجائب الأقاليم السبعة لسهراب (ص ١٣١ طبعة مزيك . ويلاحظ أن ما نشره لسترنج باسم ابن سرابيون هو قطعة من طبعة مزيك) ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى (المقدمة ، ص ٦٦ طبعة باريس أو ١ : ١١٢ طبعة القاهرة) ، ومعجم البلدان (٣ : ٣٧٨ مادة : الصراة) ، ومناقب بغداد المنسوب لابن الجوزى (ص ١٨) .

ولها لا يقل شأنا عن التصحيف المار الذكر ، قوله فى ٣ : ٢٧١ ب ٧ ؛ ٤ : ٠ ، ا ٢٦ جبل « سنجر » . وصوابه جبل « سنجار » المسمى باسم بلدة سنجار فى شمال غربى العراق وأمر هذه البلدة ذائع فى كتب البلدان والتاريخ مما لا حاجة إلى ذكره .

وفى السطر الأخير من ٣ : ٣٢٤ ا وجدنا لفظة حنص . والوجه الصحيح أن تكتب خنس . أنظر مقالنا « الآثار فى خنس وبافيان » فى مجلة « النجم » الموصلية (٥ « ١٩٣٣ » ص ٣٠٩ — ٣١١) .

ودونك العبارة التالية الواردة فى ٣ : ٣٢٤ ب ١ — ٥ « وقرية باويان فى مقاطعة الكرد المازورية ، بين ناحية نوكر فى جبل مقلو بالقرب من الموصل وناحية عمادية ، المشهورة بالنقوش السريانية التى توجد على الصخور الموجودة فى خانق خازر القريب منها » اه .

قلنا فى هذه العبارة وحدها ثمانية تصحيفات ظاهرة وضعنا خطاً تحت كل منها . واجه فى قراءتها ما يلى :

« وقرية بافيان فى منطقة الكرد المزورية ، بين ناحية النافكر فى جبل مقلوب بالقرب من الموصل وناحية العمادية ، المشهورة بالكتابات الأشورية التى على الصخور الموجودة فى خانق الخازر القريب منها » .

وقال فى ٣ : ٤٣٣ ب ٢ — ٣ « ودفن (جبرائيل بن بختيشوع الطبيب) بدير سرجيوس فى المدائن » . وكان الأصح فى هذه التسمية أن يقال « دير مار سرجس » فى المدائن ، وهى التسمية المشهورة فى المراجع العربية ، أنظر : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة (١ : ١٠٥) وأخبار الحكماء للقفطى (ص ١٤٢) .

وفى ٣ : ٣٤٣ ب ١١ ورد اسم « بثين » . والذى رأيناه فى الترجمات العربية المختلفة للكتاب المقدس : باشان للدكتور جورج بوست ١ : ٢٠٦) .

وفى ٣ : ٤٨٣ ب ٢ باب بصره . والوجه فيه : باب البصرة .

وفى ٣ : ٥٢٧ ا ١٩ ؛ ٣ : ٥٢٧ ب ٢٤ دياله . وقد كتب اسم هذا النهر فى المراجع العربية : ديالى . راجع : معجم البلدان (٢ : ٦٣٨) ومراصد الأطلاع (١ : ٤٢٠ — ٤٢١) .

وفى ٣ : ٣٥٧ ب ٢٥ بوسبه . والصواب : بوزسيبا .

(يتبع) **كوركيس عواد**

الزندقــــــة

فى عهد المهدى العباسى

للأستاذ محمد خليفه التونسى

لم تكن حرية الرأى فى أوائل الدولة العباسية مكفولة فى كل النواحى الفكرية كما كانت الحال فى الدولة الأموية؛ فلم يكن الأمويون يعاقبون، إلا فيما ندر، رجلا بالقتل أو غيره لأنه يرى رأيا يخالف آراءهم فى الحكومة أو السياسة أو الدين أو الاجتماع ما دام لا يحاول الانتقاض على الحكومة أو يخل إخلالا عمليا بنظام من نظم الدولة. لم يكن الأمويون يفعلون ذلك إلا نادرا، وإلا فان عصرهم بل عصر الإمام على لم يخل من مؤاخذة بعض المخالفين فى الرأى واضطهادهم وعقابهم بالقتل أحيانا.

لكن موقف الأمويين من المخالفين وإن شابه إلى حد بعيد موقف العباسيين من مخالفيهم، لا يشابهه إلا فى الظاهر، ولكنه يختلف عنه فى الحقيقة كل الاختلاف من حيث المبدأ والتنفيذ كما سنبين ذلك فى مكانه من هذا البحث.

ولقد حاول العباسيون منذ قامت دولتهم وفى أول قيامها خاصة أن يضعوا للفكر حدودا فى بعض النواحى التى يتناولها، ومنعوه من أن يتعداها، وإلا عرض صاحبه للعقاب، كما حاولوا بالترغيب والترهيب أن يصبغوا العلوم على اختلاف أنواعها صبغة خاصة، فنجحوا فى بعض محاولاتهم وخابوا فى بعض، ونصروا بعض المذاهب الفكرية وحاربوا البعض الآخر مما يوقع الباحث فى هذا العصر فى كثير من الحيرة والاضطراب.

ورأى مؤسسو الدولة العباسية أنفسهم مكرهين على التزام هذا التدخل بين المذاهب، والحجر على الناس فى كثير مما يقولون ويعملون مما لم يكن له نظير قبلهم، ومرجع ذلك إلى أن الدولة الأموية التى قامت دولتهم على أنقاضها ظلت قرابة قرن من الزمان (٤٠ — ١٣٢ هـ) مسيطرة على العالم الإسلامى فتغلغل سلطانها فى جوانبه وألف الناس منها قواعد ونظما خاصة فى الحكومة والسياسة والاجتماع وغير ذلك فحاولوا أن يستأصلوا من العالم الإسلامى الذى اغتصبوه كل مابذرفيه الأمويون من قواعد ونظم، ويستبدلوا بها قواعد ونظما خاصة بدولتهم تحفظ عليها هذا الملك المترامى الأطراف الذى استحوزت عليه بالقوة حينا والدهاء حينا، وكان خلفاؤها — والأولون منهم خاصة — يعرفون أنهم لم يصلوا إلى ماوصلوا إلا بعد أن خاضوا إليه أنهارا من الدماء، وعبروا له على جسور من الجماجم والأشلاء، بل كانوا يعرفون حق المعرفة أنهم لن يستطيعوا الاحتفاظ بدولتهم إلا بالسير على الطريقة التى ساروا عليها حتى صاروا خلائف فى الأرض.

كان الأمويون فى ملكهم يعتمدون على العرب ويسيئون الظن بالفرس، ويلقونهم بكثير من ألوان المهانة والاضطهاد مما أحفظ الفرس عليهم بل على العرب جميعاً لأن هؤلاء العرب فتحوا بلادهم وثلوا عرشهم واتخذوهم موالى يمتهنونهم ويرون أنفسهم أكرم منهم عنصراً وأرفع مقاماً. ولقد ظهر حقد الفرس على العرب منذ فتحوا بلادهم فى عهد عمر بن الخطاب فالتاريخ يحدثنا أن الهرمزان حين وقع أسيراً فى يد أبى موسى الأشعرى عند فتح تستر أرسله إلى الخليفة عمر ليحكم فيه حكمه فكان ماكان من إبقاء عمر عليه وإسلامه وحياته فى المدينة كما تحيا العامة، وأنه كان حين تأتيه فى المدينة، أخبار فتوح العرب لفارس وهزائم الفرس، يتميز من الغيظ، وإن حقده قد زاد لما كان يراه من وفود أبناء جنسه أسارى إلى المدينة واتخاذ العرب إياهم موالى وخدماً، فلما كان وفود سبى جلولاء كان الهرمزان يمسح رؤوسهم ويقول: «أكل كبدى عمر» مما يدل على أن النعرة الفارسية ظهرت منذ فتح العرب بلاد فارس، وما كان قتل عمر إلا مؤامرة فارسية لكيد العرب نفذها أبو لؤلؤة وظل الفرس ينقضون على الدولة الأموية كلما أمكنتهم الفرصة حتى كانت ثورتهم الكبرى باسم العباسيين تحت قيادة أبى مسلم الخراسانى فدكتها دكا.

وإذا كان الخليفة عمر ومن بعده عثمان وعلى قد أحسنوا السيرة فيهم اتباعاً لأوامر الدين مما خفف عن الفرس ماكان يعتلج فى قلوبهم من الحقد والضغينة — فإن الخلفاء الأمويين لم يساووهم بالعرب كما أمر الدين بل كانوا يحتقرونهم وينزلونهم منزلة العبيد بالرغم مما عرفوا لهم فى أيام استقلالهم وفى أيام الأمويين أنفسهم من حضارة ورقى فى جميع مرافق الحياة والفكر حتى فى الدين الإسلامى واللغة العربية.

كان الأمويون برغم كل الاضطرابات التي تكبدوا مشقاتها يثقون بالعرب كل الثقة فبالعرب أقاموا دولتهم ، وبهم حافظوا عليها من العرب والفرس جميعاً .

أما العباسيون فلم يظفروا باطمئنان كاطمئنان الأمويين وثقتهم بعنصر يعتمدون عليه إزاء ما يكر بهم من الخطوب في نضالهم عن دولتهم ، بل في إقامتها قبل أن تكون .

كان العلويون والعباسيون وهم آل البيت النبوي قد قاسوا زمن الدولة الأموية ألوانا قاسية من الظلم والاضطهاد ، وكان نصيب العلويين من ذلك أوفى نصيب ، فكانوا يلعنون على المنابر طيلة العهد الأموي إلا نحو عام في عهد عمر بن عبدالعزيز الأموي ، وكانوا يراقبون في كل حركاتهم وسكناتهم ، ويقابلون كلما رفعوا رءوسهم بقتل الرجال وسبي النساء والأطفال ، مع اعتقادهم أنهم أولى من الأمويين بخلافة النبي عليه السلام ، وكان العرب يشهدون هذه الشنع دون أن ينصروهم على هؤلاء المتعصبين بل كانوا يعينون المتعصبين على ظلمهم وقتلهم والتمثيل بهم ، وتشريدهم في الآفاق جزاء ما كان الأمويون يبذلونه لهم من العطايا السخية .

ولقد كان كل أولئك مما أحفظ آل البيت على العرب ، وأيأسهم منهم ، فلما آلت إلى العباسيين قيادة الدعوة السرية لدك الدولة الأموية كانوا يحملون في قلوبهم للعرب كل حقد وضغينة ، وليس أدل على يأس العباسيين من العرب مما أوصى به محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، أول من آلت إليه قيادة الدعوة السرية من العباسيين ، حين وجه دعاته إلى الأمصار ، قال لهم : « أما الكوفة وسوادها فشيعة علي وولده ، وأما البصرة وسوادها فعثمانية تدين بالكف تقول : كن عبد الله المقتول ، ولا تكن عبد الله القاتل ، وأما الجزيرة فحرورية مارقة وأعراب كأعلاج ومسلمون في أخلاق نصارى ، وأما أهل الشام فليسوا يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان وعداوة راسخة وجهل متراكم ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الأهواء ، ولم يتوزعها الدغل ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجواف منكرة ، وبعد فإني أتفاءل إلى المشرق ، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق [1] » .

وهذا كلام رجل أقل ما يقال فيه إنه يتكلم عن فهم عميق واستقراء شامل ، فهو يائس من نصرة كل الأقطار التي سكانها أو معظمهم من العرب ، ولا أمل له إلا في خراسان الفارسية .

وليس أدل على بغض العباسيين للعرب وحقدهم عليهم من أن إبراهيم بن محمد بن علي السابق ذكره — لما آلت إليه القيادة بعد وفاة أبيه محمد بن علي — قال لأبي مسلم الخراساني حين أمره على خراسان : « يا عبد الرحمن ، إنك رجل منا أهل البيت فاحفظ وصيتي ، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحي من مضر فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت فيه ، ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء ، وإن استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل ، فأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله [2] » .

وقامت الدولة العباسية ولكن لا بقوة العرب بل برغم أنوف العرب ، فزاد ذلك العباسيين حقداً وضغينة عليهم ، وأحسوا بما يحسه كل مظلوم نحو من ظلموه بعد أن انتصر عليهم ، أحسوا نحو الأمويين خاصة والعرب وهم معاونوهم في ظلمهم عامة أنهم أعداؤهم الذين لا يجوز لهم أن يراقبوا في الثأر منهم إلا ولا ذمة ، ولا ينبغي أن يرعوا لهم حرمة فأسرفوا في سوء الظن وأسرفوا في القتل وانتهاك الحرمات وإهدار الحقوق ، وأحلوا بينهم وبينهم الجفوة محل المودة ، والقطيعة محل التواصل .

ولقد يروق لبعض المؤرخين أن ينسبوا إلى العباسيين أنهم إنما اعتمدوا على الفرس بعد نجاحهم ثقة بهم أو مثوبة لهم على معونتهم ، وليس هذا من الصدق في شيء فما كان اعتماد العباسيين على الفرس قبل قيام دولتهم إلا تجنبا للعرب بعد أن

(١) محاضرات الخضري بك والدولة العباسية — الطبعة الرابعة — ص ١٤

(٢) المصدر نفسه ص ٢١ ، وتاريخ الطبري — ج ٩ ص ٧٦ وتاريخ ابن الأثير ج ٥ ص ١٤٠

يئسوا منهم كما يظهر من كلام محمد بن علي الذي نقلناه آنفاً ، وإلا خوفاً منهم وريبة فيهم كما يظهر من وصية ابنه إبراهيم الإمام لأبي مسلم الخراساني ، وما اعتمد العباسيون على الفرس بعد نجاح الدعوة ثقة منهم بهم أو مثوبة لهم بل خوفاً من العرب وريبة فيهم أيضاً ، وهذا ما أدى إلى ضياع العرب في الدولة الجديدة ، وما وثق العباسيون بالفرس ولا أرادوا مثوبتهم حين قربوهم في دولتهم بل كانوا يحذرونهم كما يحذرون العرب ويرقبون الشرور منهم كما يرقبونها من العرب ، وإن كانوا لا يطيقون إبعاد الفرس كما أطاقوا تنحية العرب . وأعتقد أن هذا لم يكن يخفى بحال على مؤسس الدولة العباسية فما كان أبو مسلم الخراساني – كما يظهر من حوادثه – بالرجل الزاهد في السلطان ، وإعادة دولة الفرس متى أتيح له ذلك ، وما تكبد للعباسيين ما تكبد حباً فيهم ولا إيماناً بوجوب نصرتهم ، ولا ابتغاء وجه الله ورضا محمد عليه السلام ، فلم يكن العباسيون كما لم يكن الأمويون عند أبي مسلم بأحق بالخلافة من العلويين مادام الأمر أمر قرابة من النبي ، وإنما نصر العباسيين دون العلويين لأن هدم أولئك أيسر من هدم هؤلاء . والحجة التي أمكنه أن يتذرع بها لخلب ألباب الجيوش حتى هدم الدولة الأموية حجة لا تزال ناهضة تجاه العباسيين ومن اليسير أن يتذرع بها لهدمهم . تلك الحجة هي أن العلويين أمس رحماً بالنبي من العباسيين ، فالعباسيون والأمويون جميعهم غاصبون .

وأعمال أبي مسلم تدل على أنه كان تواقاً إلى الملك ، فالتاريخ يروي أنه خطب أمينة بنت علي عمة السفاح والمنصور فردعها[1] وأنه كان في رسائله يقدم اسمه على اسم الخليفة على غير ما جرت به العادة في التراسل بين الخلفاء وغيرهم[2] ، وأنه لما أراد القدوم من مرو إلى السفاح كتب إليه يستأذنه في الحج أميراً على الناس سنة ١٣٦ هـ فاعتذر إليه بأن أبا جعفر سبقه بالاستئذان ليكون أميراً على الحجيج ، وأمر السفاح أبا جعفر بأن يطلب ذلك فطلبه فوافقه عليه مما أثار اشمئزاز أبي مسلم حتى رووا أنه قال لبعض

(١) ، (٢) تاريخ الطبري ج ٩ ص ١٦٧

خاصته : « أما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا ؟ » [1] . ودلت سيرته في ذهابه وإيابه من الحج على كثير من مطامعه من وراء ابتغاء كسب القلوب في إظهار القوة والكرم بالأموال[2] ، والتقدم في الطريق على أبي جعفر[3] .

ولقد أدى ذلك وغيره إلى حسد أبي جعفر لأبي مسلم وتوجس من مطامعه حتى طلب من السفاح أخيه أن يقتاله وألح في الطلب حتى كاد السفاح ينفذه لولا أنه خاف من جيوش خراسان التي تأتمر بأمر أبي مسلم وتتعصب له فاضطر مرغماً إلى الأناة والمهادنة[4] .

وما إن صار المنصور خليفة وفرغ من عمه عبد الله بن علي حين خرج عليه حتى قتل أبا مسلم ، وأرسل إلى قواده جوائز فاخرة ، وأعطى الجند حتى أمنهم من أن يثوروا للأخذ بثأره .

قامت الدولة العباسية على القوة والدهاء ، وكان ديدن رجالها المؤسسين الحذر المفرط من العرب والفرس جميعاً ، وضرب هؤلاء بهؤلاء للتمكن من السيطرة على الفريقين ، وهذا ما جعل المنصور حين رأى رجاحة الخراسانيين على العرب يصطنع كثيراً من رجال العرب لقيادة الجيوش وولاية الأقطار ، ومن هؤلاء عيسى بن موسى ومعن بن زائدة وعمر بن العلاء والهيثم بن معاوية ويزيد بن حاتم ومحمد بن سليمان بن علي وغيرهم .

وكان شعارهم كلمة إبراهيم الإمام لأبي مسلم « أيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله » فكانوا عاملين على توطيد ملكهم بكل الوسائل المحللة والمحرمة .

من أجل ذلك كله حاول العباسيون أن يعظموا الخلافة في قلوب الناس وعيونهم ، وقتلوا بالشبهة كل من ظنوا به خروجاً على الدولة ، أو توهموا أن في وجوده خطراً عليها ، فأمر السفاح أبا مسلم بقتل أول وزرائه أبي حفص سلمة الخلال الذي كان يلقب وزير آل محمد[5] ، وقتل أبو جعفر قائده ومؤسس ملكه أبا مسلم الخراساني[6] ، ولما قتل أبو حفص سلمة الخلال استوزر السفاح

(١) ، (٢) ، (٣) تاريخ الطبري ج ٩ ص ١٥٩ ، ومحاضرات الخضري بك ص ٥٢
(٤) تاريخ الطبري ج ٩ ص ١٥٣ ، ومحاضرات الخضري بك ص ٥٢
(٥) تاريخ الطبري ج ٩ ص ١٤١
(٦) الطبري ج ٩ ص ١٥٩

خالد بن برمك ، فكان يكره أن يسمى وزيرا تطيرا من قتل أبي حفص[١] ، ثم أعفاه المنصور فى خلافته وولى أبا أيوب سليمان ابن مخلد المورياني فكان إذا دعاه المنصور خشيه حتى يشحب لونه وترتعدفرائصه ، ثم قتله . وفى رثائه يقول أحدشعراء ذلك العهد[١] :

قد وجدنا الملوك تحسد من أع طته طوعا أزمة التدبير
فإذا ما رأوا له النهي والأم ر أتوه من بأسهم بنكير
شرب الكأس بعد حفص سليما ن ودارت عليه كف المدير
ونجا خالد بن برمك منها إذ دعوه من بعدها بالأمير
أسوأ العالمين حالا لديهم من تسمى بكاتب أو وزير

ولما قتله المنصور بعد تعذيبه واستصفاء أمواله حبس أخاه وبنى أخيه سعيداً ومسعوداً ومخلداً ومحمداً ، فكانت وزارته نكبة ماحقة عليه وعلى أهله . ولما جاء المهدى استوزر يعقوب بن داود ١٦١ هـ ، ثم نكبه وحبسه سنة ١٦٦ هـ ، فظل فى السجن حتى أخرجه الرشيد .

وقد ادعت الدولة العباسية لنفسها حقاً لم تدعه الدولة الأموية إذ أقامت الخلافة على أصل من الدين — كما زعم كثير من الملوك لملكيتهم ذلك فى العصور الوسطى الأوربية ، فالخليفة مصدر السلطات وإرادته فى الأرض ظل إرادة الله فى السماء ، فهو حامى حمى الدين وله بذلك أن يقضى فيما يشاء ومن يشاء كما يشاء . فحرموا على الناس أن يتناولوا أعمالهم بالنقد أو التجريح كما حرم المنصور الطعن فى الخلافة ، وطلب من الناس ، إذا رأوه يضيق عليهم فى الرزق ، أن يدعوا الله أن يوسع المنصور عليهم لأنه هو مفتاح أرزاقهم .

ومن الحق أن المنصور برغم تشدده فى سياسة الدولة وتضييقه على أفكار الناس فيما يتعلق بأمور الحكومة ونظمها حتى ليحاسب الناس على ما فى ضمائرهم ، ويعاجل بالقتل كل خارج عليه بل كل من كان وجوده خطراً عليه ولو لم يكن يستحق القتل ، وكان فضله على الدولة عظيما — بالرغم من كل ذلك كان جشعا للمعرفة إلى حد كبير فكان يحتضن الأطباء والمنجمين ويرعى ما ينقلون من الكتب العلمية والحكمية ، ومن أجل ذلك كان مؤسس حركة الترجمة عن اللغات السريانية والفارسية واليونانية ، كما كان يرعى

(١) محاضرات الخضرى بك ٧١

إلى حد ما بعض العلوم الأخرى . كأن توطيد الدولة همه فلم يكن يبالى فى هذا السبيل بل فى بعض شئونه الخاصة عهداً قطعه ولا يبالى أمور الدين وما جرت عليه العرب قبله فى أخلاقها وتقاليدها .

فلما جاء ابنه المهدى سنة ١٥٨ هـ كانت الخلافة قد استتبت له فلم يكن يخشى ما خشى والده من الفتن على الدولة . لكن عهده لم يكن خالياً من فتن ذات طابع خاص يميزها من الفتن التى قامت فى عهد أبيه ، وقد جعلته هذه الفتن يتجه إلى الحجر على الحرية الفكرية فى عهده ولا سيما الزندقة . إذا كانت الزندقة طابع هذه الفتن وعنوانها ، وهذا ما جعله دقيق الإحساس من ناحيتها ، كلفاً بمعاقبة من يتهمون بها إن صدقاً وإن كذباً ، جاداً فى البحث عن أتباعها فى كل مكان ، فإذا وجدهم حاسبهم حتى على ما فى ضمائرهم وعاقبهم بالظنة كأبيه ولو لم يجد من أعمالهم ولا أقوالهم مستنداً للتهمة فضلا عن مبرر للتعذيب والقتل ، أما فيما عدا الزندقة فكان المهدى حياله سمحاً حليما ، ولذلك تفصيل سيأتى بيانه إن شاء الله .

محمد خليفة التونسى

في الصحراء

للأستاذ سيد قطب

[في ليلة من ليالى الخريف المقمرة ، الراكدة الهواء ، المحتبسة الأنفاس ، وفى صحراء جبل المقطم الموحشة ، وبين هذا القفر الصامت الأبيد — كانت تتراءى نخلات ساكنات فى وجوم كئيب ومن بينهما نخلتان : إحداهما طويلة سامقة ، والأخرى قصيرة قميئة .

بين هاتين النخلتين دار حديث . وكانت بينهما همسات ومناجاة !] .

الصغيرة :

ما لنا فى ذلك القفر هنا ما برحنا منذ حين شاخصات ؟
كل شىء صامت من حولنا وأرانا نحن أيضاً صامتات ! ؟
تطلع الشمس علينا وتغيب
ويطل الليل كالشيخ الكئيب
والنجوم الزهر تغدو وتئوب
وهجير وأصيل وطلوع وأفول ثم نبقى فى ذهول ساهمات !

***

أفلا تدرين يا أختى الكبيرة ما الذى أطلعنا بين اليباب
أيما إثم جنينا أو جريرة سلكتنا فى تجاويف العذاب
قد سئمت اللبث فى هذا المكان
لبثة المصلوب فى صلب الزمان
أفما آن لتبديل . . . . أوان ؟
حدثينى كم سنشقى ؟ حدثينى كم سنلقى ؟ حدثينى كم سنبقى واقفات ؟

الكبيرة :

أنا يا أختاه لا أدرى الجواب ودفين السر لم يكشف لنا
منذ ما أطلعت فى هذا الخراب وأنا أسأل : ما شأنى هنا ؟
فيجيب الصمت حولى بالسكون !
وأنا أخبط فى وادى الظنون
لست أدرى حكمة الدهر الضنين
غير أنا حائرات والليالى السادرات تتجنى ساخرات لاهيات !

***

ربما كنا أسيرات القدر تسخر الأيام منا والليالى !
تضرب الأمثال فينا والعبر وإذا نشكو أذاها لا تبالى !
ربما كنا مساحير الزمن !
قد مسخنا هكذا بين القنن
فى ارتقاب الساحر المحيى الفطن !
فإذا كان يعود فك هاتيك القيود فرجعنا للوجود طافرات !

***

أو ترانا نسل أرباب قدامى قد جفاها وتولى العابدون !
جفت الكاس لديها ، والندامى غادروا ندوتها تنعى القرون
أو ترانا مسخ شيطان رجيم !
صاغنا فى ذلك القفر الغشوم !
وتولى هارباً خوف الرجوم !
فبقينا فى العراء يجتوينا كل راء وسنبقى فى جفاء شاردات !

***

لست أدرى : كل شىء قد يكون فتلقى كل شىء فى سكون
وإذا ما غالنا غول المنون فهنا يغمرنا فيض اليقين !
ثم ساد الصمت كالطيف الحزين
وتسمعت لأقدام السنين
وهى تخطو خطوة الشيخ الرزين
هامسات فى الرمال منشدات فى جلال كل شىء للزوال والشتات !

(حلوان) سيد قطب

من الالياذة الاسلامية

قصة أم المؤمنين السيدة عائشة

للمرحوم الأستاذ أحمد محرم

(سيد الرسل) و (أمّ المؤمنين) بشر الأبطال بالنصر المبين
خرجت في الجيش ترجو ربها عصمة الراجي، وعون المستعين
ينصر الحق، ويقضي أمره إن رماه كل أفاك مهين
أصبري إن جلّ أمر إنها يا (ابنة الصديق) دنيا الصالحين
أرأيت الأرض لمّا رجفت إذ هوى عقدك؟ بل لا تشعرين
اقشعرّت، وتمنّت لو هوى كل عالٍ من رواسيها مكين
أنتِ في شأنكِ إذ تبغينه وهيَ في همٍّ وغمٍّ وأنين
سوف يُبدي الخطب عن روعته بعد حين، فاصبري حتى يحين
رفعوا الهودج، والظنُّ بها أنها فيه، وساروا مُدلجين
وانجلى الليل عن الخطب الذي غادر الأصباح مُسْوَدّ الجبين
أين غابت؟ أيّ أرضٍ نزلتِ كيف عمّ الأمر، هل من مستبين؟
يا (رسول الله) صبراً إنها في ذمام الله ربّ العالمين
يا (أبا بكرٍ) رويداً إننا لنراها في حمى (الروح الأمين)
رجعت والليل في بردته دائم الأطراق كالشيخ الرزين
ذهب الجيش، وأمست وحدها غير أصداء من الوادي الحزين
خطرت في الجوّ من أنفاسها خطرات للأسى، ما ينقضين
ماج كالبحر طغت أثباجه وارتمت أهواله حول السّفين
نام عنها الهمُّ لما رقدت فهو في الأحشاء مكتوم دفين
وأتى (صفوان) ما يبدو له غيرُ شيء ماثل للناظرين
يرسل الطرف، ويمشي نحوها مِشيةَ المرتاب في رفق ولين
عرف الخطب، فما أصدقهُ حين يدعو دعوة المسترجعين
دعوةٌ رنّت، فلو قيل: اسمعوا لسمعنا اليوم ترداد الرنين
أيقظت (عائشةً) من نومها مثلما يوقظها صوتُ الأذين
جفلت منه، فغطت وجهها وهيَ في سترين من عقل ودين
يصرف اللحظ كليلاً دونها خاشع القلب، كدأب المتقين

قرّبَ الناقة منها، ودعا اركبي أمّاهُ، فُدّيتِ البنين
أخذ المقودَ يمناً، ومضى يتبع الماضينَ من أهل اليمين
ينتمي[1] (يثرب) بالنور الذي يملأ الدنيا، ويعيي المطفئين
نشروا الإفك فساداً وأذى وعلى الله جزاء المفسدين
لا ينال الحقّ في سلطانه كذب الحقيّ، وإفك المرجفين
يا لها من عصبة فاسقة هاجها للشر (شيخ الفاسقين)[2]
وجدت فيه زعيماً حاذقاً وإماماً بارعاً للمفترين
هكذا يا (ابنَ أُبيٍّ) هكذا لا يكن شأنك شأن المسلمين
انفثِ السُّمّ، وخُضْها فتنةً تتلظى نارها للخائضين
يا (ابنة الصديق) صبراً، ليته ألمُ المرضى، وهمُّ الموجعين
يا لها من علةٍ لو تعلمين إنها أبرح مما تشتكين
أعقبَ البشرَ عُبوسٌ وبدا من (رسول الله) ما لا ترتضين
كيف تيكم؟ ليس من عاداته كيف تيكم؟ يا لهم من مجرمين
غيّروهُ، فلوى من عطفهِ وطوى من لطفهِ ما تعهدين
وهو يخفي لكِ ما لا ينقضي من هوى صاف، وشوق وحنين
سجن السرّ، وكم من روعةٍ لك يا أمّاه في السرّ السجين
أنصتي، فالليل مُصغٍ، أنصتي وقع الخطبُ، فما تصنعين
جاشت النفسُ، ولجت رعدة لم تدع في القلب من ركن ركين
(مسطح) لا قرّ عيناً (مسطح) شبها ناراً تهول المصطلين
فضحته عثرةٌ من أمّهِ فانظري كيد ذويك الأقربين
لا تلوميها إذا ما غضبت إنها تعلم ما لا تعلمين
أرسلتها دعوةً واحدةً ليتها زادت على حدّ المئين
تعِسَ (الثعلبُ) ما أخبثه فدعى (بدرا) و (آسادَ) العرين
رجعت في غمرةٍ من همّها لم تبت منها بليل الراقدين
لوعةٌ مشبوبةٌ في سَقَمٍ في شآبيب من الدمع السخين
يا (رسول الله) هل تأذن لي؟ إن بيتي بمصابي لقمين
مُرْ ودع همي لأمي وأبي إنما استأذنتُ خير الآمرين
بان حسن الصبر، والعزم انطوى وأرى السُّقمَ مقيماً ما يبين

(١) يقصد.
(٢) عبد الله بن أبي

قال : ما شئت . هلمي فافعلي ... لك يا صاحبتي ما تؤثرين
ذهبت ، يحزنها إن لم تكن ... طوّح الدهر بها في الذاهبين
ثم قالت وهي تبكي : عجباً ... لك يا أماه ، ماذا تكتمين ؟
أفلا نبأتني ما زعموا ؟ ... ويحهم : ما حيلتي في الزاعمين ؟
ظلموني ، ما رعوا لي حرمةً ... ربِّ كن لي ما أقلَّ المنصفين
جزع (الصديق) مما نابه ... إنه خطب يهول الأكرمين
قال : أفٍّ لكِ من داهيةٍ ... ما رُمينا بكِ في ماضي السنين
أفلمّا زاننا دين الهدى ... ساءنا منكِ حديث لا يزين ؟
(كيف تيكم ؟) يا لها صاعقة ... أُرسلتْ من فم (خير المرسلين)
كيف تيكم ؟ كيف تيكم ؟ كلما ... جاء ، إن الله مولى الصابرين
اصبري يا (ربة العقد) الذي ... زِينَ من عينيك بالدرِّ الثمين
أوجعتها من (عليٍّ) شدة ... هي من دأب الأباة الأولين
سَلَّطَ الضربَ على مولاتها ... أيُّ سرٍّ عندها للضاربين ؟
أقسمت صادقةً ما علمت ... غير ما يدفع دعوى الواهمين
التُّقَى والبرُّ في تاجيهما ... هل رأى التاجين أعلى المالكين ؟
مرحباً بالحق ، يحمي جُنْدُه ... ما استباحت تُرهات المبطلين
مرحباً بالوحي ، يجلو ما طوت ... ظلمات الشك من نور اليقين
مرحباً (بالروح) يأتي من عل ... رحمة الله ، تغيث المؤمنين
فتنة جلت ، فلما انكشفت ... أزلفوا الشكر ، وراحوا راشدين
وتجلت غمرة (الهادي) فلا ... ريبة تغشى ، ولا ظنٌّ يرين
يا (ابنة الصديق) طيبي وانعمي ... ذاكِ حكمُ اللهِ خير الحاكمين
ضرب القوم بماضٍ مِخذم ... من مواضيه ؛ فولوا مدبرين
سقطوا صرعى ، عليهم غبرة ... من قتام البغي تخزي الظالمين
أمسك (الصديق) من معروفه ... ينكر الغدر ، وينهى الغادرين
وطوى عن (مسطح) نعمته ... ليرى حق الكرام المنعمين
عاله دهراً ، فلما خانه ... راح يجزيه جزاء الخائنين
سُنَّة العدل ، قضاها من قضى ... سنة الرحمة بين الراحمين
نزل (الذكر) بها قدسيّةً ... فعفا الناقم ، وارتاح الضنين
اجعل الخير قريناً إن أبى ... كلُّ غاوٍ ، إنه نعم القرين
جلّ ربي وعلا ، كل امرىء ... بالذي يكسب من أمر رهين

أحمد محرم

العلمـــاء

يتعلمون من المشعوذين

للأستاذ فوزى الشتوى

القتل بغير تسمم

منذ قرون بعيدة وكهان الطب ومشعوذوه فى غابات المناطق الاستوائية فى أمريكا الجنوبية يعمدون إلى بعض الأعشاب يطبخونها بطريقة خاصة وفى وسط مراسيم دينية . حتى إذا تمت الطقوس عمدوا إلى عيدان رفيعة غمسوا أطرافها فى المادة المطبوخة. واحتفظوا بها حتى إذا خرجوا إلى الصيد أطلقوها بدفع الهواء بأفواههم على الفرائس ولا يكاد العود يخترق الجلد ويسرى السم فى دم البقرة أو الوعل حتى تتوقف عضلات المعدة والقلب والتنفس عن الحركة فيخر الحيوان ميتا .

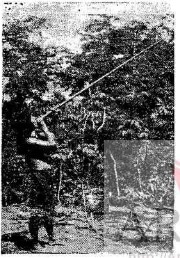
وليس من الضرورى أن يصاب الحيوان فى مقتل ، فالمهم أن يصل السم إلى الدم فى أى جـــزء من الجسم ليشل أعضاء الحيوان الداخلية والخارجية عن الحركة .. ولا يفسد لحم الحيوان بل يحتفظ بجودته فيقبل عليه صيادوه يلتهمون لحمه النقى الذى لايبدو فيه أى أثر للتسمم .

هذا السم الغريب هو مدار البحث والتجربة الآن عند فريق من الأطباء والجراحين الامريكيين . لأنهم يعالجون به كثيراً من الأمراض المخيفة المستعصية . ويعجلون به شفاء عدد من الأمراض العقلية المحيرة .

من أحاديث الخرافات

أما كيف حدث اكتشاف هذه المادة فأمر يوشك أن يكون من أحاديث الخرافات والقصص الخيالية ولكن الأطباء يوردون آلاف الحوادث والحالات التى شفت هذه المادة أصحابها والتى يطلقون عليها إسم كورا راى . وهوذات اللقب الذى يسميه به سكان القبائل البدائية فى مناطق أمريكا الجنوبية الاستوائية .

وليس عهد العلماء حديثاً بهذه المادة الغريبة ، فمنذ أربعة قرون أحضر السير والترراى الرحالة الانجليزى عينات منها استغلها العلماء فى القرن السادس عشر فى علاج بعض الحالات . ولكن الكمية كانت محدودة فلم تتح لهم مواصلة تجاربهم وأوشك اسم الكورا راى أن يزول من رؤوس الباحثين .



(شكل ١) يستطيع هذا الهندى أن يقتل أى حيوان من بعد ٨٠ ياردة بقذفه بسهم الكوراراى من غابته الطويلة

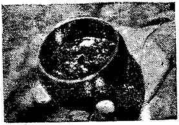
وأريد لهذه المادة الحياة مرة أخرى على يدى مستكشف ناشىء مارس حياة الغابات منذ ١٩٣٠ واسمه ريتشارد جيل . وفى خلال الأعوام التى عاشها فى غابات أمريكا الجنوبية تعرف إلى مشعوذيها واكتسب صداقتهم وإعجابهم فأطلعوه على طقوس الكوراراى وطريقة تحضيره والأعشاب التى يستمد منها فأقام فى الغاب سنوات طويلة وهو يقتنص صيده بواسطته ويأكل لحمه . ولكنه لم يدرك أهمية المادة للعالم المتمدن .

المرض المحير

وجمح به حصانه مرة فسقط على الأرض وأصيب بالشلل . ونقل إلى مستشفيات أمريكا ففحصه الأطباء من قمة الرأس إلى أخمص القدم فلا يجدون به علة ولا يعثرون فى أعضائه على عطب . ولكنه كان لايقوى على الحركة . بل إن شعوره كان مبهما غامضا

لا يحس حتى بالألم فأفتى أطباؤه بأنه ربما كان فريسة الشلل التشنجي .

والمصابون بهذا المرض تتولاهم هزات عضلية قاسية تنشأ من تيبس العضلات . وأخطره الطبيب بأن عـلاج حالته غير معروف . ولم يعرف الطب إلا مادة واحدة لا سبيل إلى الوصول إليها لأنها من مواد الغابات الإستوائية وهي الـكورارای .



(شكل ٢) مادة الـكورا راى التي يغمس فيها الهنود أسهم صيد الحيوانات وقتلها بغير إفساد لحمها

وسمع جيل الإسم المألوف لديه فسرى في جسده كتيار كهربائي ساحر . فتلك المادة التي توفرت لديه في الماضي مطلوبة الآن ليجرب بها الطبيب طريقة لعلاج علته ، وتناوشته الأفكار والآراء وعصفت به نفسه ، وهو يرى بصيص الأمل ويعرف طريقه ولكنه لا يقوى على السعي إليه .

إنه يعرف هنود تلك المناطق ومشعوذيها . ويعرف كيف يستحضر مادة حياته . ولكنه سجين بين جدران أعضائه النائمة . أنه يعرف الطـــريق لانقاذ آلاف الناس وإبراء ملايين العلل ولكنه لا يقوى على الحركة .

كفاح البائس :

وكانت الإرادة ، وكان الصبر ، وكان الكفاح . فأمضى الساعات الطوال وهو يدرب عضلاته على الحركة بمختلف الوسائل وبما أثير في نفسه من دوافع العزم على الحياة . فلم تمض شهور بارز فيها مع أطبائه ومستشاريه العلة حتى تغلب عليها وغادر مستشفاه .

ومضت أعوام أربعة حتى استطاع زيارة مناطق خط الاستواء على رأس بعثة خشي أن تفشل . إذ توهم أن سحرة الهنود قد ينكرونه أو ينسون أمره . ولكنه ما كاد يقابلهم حتى استقبلوه بترحاب وتقدير .

ومن هناك سارت عشرات القوارب ومئات الحيوانات في الأنهار وفي الأدغال لتنقل إلى الطب تلك المادة الثمينة النادرة . وعاد جيل وقد حرص هذه المرة على التقاط أشرطة سينمائية تبين جميع مراحل تحضير الـكورا راى .

ولم يكن الطب مؤمناً كل الإيمان بفعله فسخر منه ولكن أحد أطباء كلية نبراسكا احتضن البحث وأقبل على تجربته واحتضنته إحدى الشركات أيضاً فحضرته مركزاً ونقياً ووزعت عيناته مجاناً على الباحثين ليجروا عليه تجاربهم ولم تمض فترة حتى ظهر في الأسواق التجارية . واقتنع الأطباء بأنهم يستطيعون التعلم ولو من متوحشي الغابات ومشعوذيها .

سلامة الجسم أم العقل :

وواجه الأطبـاء في تلك الفترة معضلة خطيرة ، فقد وفق بعضهم إلى علاج بعض الأمراض العقلية بأحداث صدمات عصبية في المرضى تؤدي في الغالب إلى الشفاء . ولكنها تؤدي أيضاً إلى تشنجات عضلية حادة تضر أعضاء المصابين الداخلية ، وتحطم عظامهم في بعض الأحيان . فهل لمثل هـذا العلاج أن يستمر ؟ وهل يجوز أن يكون شفاء العقل على حساب تحطيم الجسم ؟

وحل الـكورا راى الأشكال وأجاب على السؤالين حينما عرف العلماء كيف يستخدمونه لأنه أتاح للطبيب إحداث الصدمة الطبية بغير أن يتعرض المريض إلى خطر تحطيم عظام جسمه ، وكان الطبيب بنت من جامعة نبراسكا أول من سلك الطريق فأجرى تجاربه على الأطفال المصابين بالشلل التشنجي .



(شكل ٣) سيقان النباتات التي يستخرج منها المخدر وإلى جوارها السهام المسمومة وفوق السيقان بعض مصنوعات الهنود

يريح العضلات :

ودلت الأبحاث على الحيوانات أن الـكورا راى يريح العضلات إذ يصيب وصلات الأعصاب المحركة لها بالشلل ، أو



الحذاء ...

لأنطون تشيكوف

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

قال « مركين » — ضابط البيان — وهو رجل ذو وجه حليق شاهب ساهم ، وأنف ملوث بالسعوط ، وأذنين محشوتين بالقطن ... صاح فى صوت أصحل وهو يغادر غرفته بالخان ، ويطؤ أرض البهو :

— « سميون ... أيها الساقى » . ولو أن إنساناً لمح وجهه المتقع فى تلك اللحظة لظن أن نظره وقع على شبح يتراقص فى غرفته . وما كاد يبصر الخادم يخف مقبلا عليه حتى قال فى هيعة وفزع :

— « سميون ... بالله ما ذا تعنى بذلك ؟ إنى رجل منهوك ، مصاب بالنقرس المزمن ، وقد جعلتنى أسير حافى القدمين ... أين حذائى ؟ ولِمَ لمْ تأتِ به ؟ ! »

فولج سميون غرفة مركين ، وراح يحملق فى المكان الذى اعتاد أن يترك فيه الحذاء بعد تنظيفه ... ثم جعل أنامله تعبث بشعر رأسه : فقد اختفى الحذاء ! وأخذ يردد فى صوت خافت :

— « كيف تأتَّى لتلك الأشياء اللعينة أن تختفى ؟ ! يخيل إلى أنى نظفتها فى المساء ، ووضعتها هنا ... هه ! إنى لأصرح أنى نهلت بعض الخمر البارحة ، فلعلى تركت الحذاء فى غرفة أخرى ، وربما كان فى غرفة « أفاناسى بجورتش » . لقد كان أمامى كومة من الأحذية ... تباً للشيطان الذى يزين للانسان الشرب ، ثم يجعله بعد ذلك يفعل ما ليس يدرى ... سيدى ، لا بد أن حذاءك فى غرفة السيدة التى تليك ... الممثلة »

« والآن تدفعنى « سيادتك » إلى إقلاق سيده من أجلك ... أأوقظ سيدة فاضلة لغباوتك وحماقتك ؟ » ..ودنى مركين من باب الغرفة التالية وهو يتنهد ويسعل ... ثم طرق الباب فى حذر ... وبعد هنيهة سمع صوت امرأة تقول « من ... هناك ؟ » فراح مركين يقول فى توسل ، وقد اتخذ فى وقفته هيئة الفارس الذى يخاطب سيده أرقى منه طبقة «معذرة لإقلاقك يا سيدتى ... ولكنى رجل منهوك ، مصاب بالنقرس المزمن ، وقد أشار علىّ الطبيب بتدفأة قدمىّ ... هذا إلا أنه علىّ أن أذهب فى الحال لضبط بيان قرينة الجنرال « شفليتسين » ولا يمكننى الذهاب حافى القدمين » .

— « ولكن ماذا تبغى ؟ أى بيان ؟ ! » .

— « ليس بيان يا سيدتى ... إنما أشير إلى حذائى . فإن سميون — ذلك الخادم الغبى — نظفه وتركه خطأ فى غرفتك . فاشفقى على ضعفى وناولينى حذائى » ثم تلا ذلك صوت حفيف ، ثم نهوض من الفراش ووطىء نعال ، وبعد ذلك انفرج الباب قليلا ، وألقت يد نسائية مكتظة زوجاً من الأحذية إلى مركين . فشكرها « ضابط البيان » وانطلق إلى غرفته . ولكنه ما لبث

يعزلها عنها فيمتنع تهيجها . كما ثبت أنه من الميسور استخدام الكورارای فى معالجة الإنسان . وتدل التجارب الأولى على نجاحه لأن المخدر كان يمتص الصدمة العضلية فيستلقى المريض مسترخياً أثناءها بدل أن تتقلص عضلاته ويتحرك فى موجات بالغة العنف .

ومع أن الكورارای لا يفقد المريض شعوره بالألم فقد وجد فيه علماء التخدير مادة ثمينة لأنه خفف مهمة الجراحين إذ جعل المرضى يسترخون فى راحة مما يزيل كثيراً من المضاعفات التى تنتج من حركة المريض ، مما ينبىء لهذا المخدر الجديد بمستقبل جيد فى عالم الطب .

ويرى الأطباء فى هذا المخدر أنه خير علاج لمرض خطير يصيب الشبان فيشل أعصابهم وشفاؤه بالراحة التامة والاستجمام وهو ما يفعله الكورارای فى المريض ويسميه الدكتور بنت بأنه «أقوى وأكمل مخدر عرف لإراحة العضلات وانبساطها » وكلما زدنا علماً بخواصه زدنا استخداماً له فى علاج علل الإنسان .

فوزى الشتوى

أن دمدم وهو يدخل قدميه فى الحذاء : « عجباً ... يخيل إلىّ أن هذا ليس بحذائى ... ومع ذلك فكلا الحذاءين لا يصلح إلا للقدم الشمال ... سميون ما هـذا بحذائى ... فحذائى ذو لسان أحمر ... وليس به ثقوب ... أما هذا فخال من الألسنة الحمراء كما أنه ملآن بالثقوب ! » فالتقط سميون الحذاء ، وأخذ يقلبه فى كفيه أمام عينيه ... ثم لم يلبث أن قطّب ما بين حاجبيه وقال فى تذمر هذا حذاء « باقل ألكسندرتش »

— « أى باقل الكسندريسن ؟ ! » .

— « الممثل ... إنه يحضر هنا كل ثلاثاء ... لابد أنه تحذى حذاءك بدلا من حذائه ... وأحسب أنى وضعت حذاء كل منكما فى غرفة الآخر » .

— « وعلىّ بعد ذلك أن أغيره !. أليس هذا ما ترمى إليه ... أيها الأبله ؟ » . فقال سميون فى سخط « أصبت ... إمضى واسترد حذاءك إذاً ... ترى أين يكون الآن ؟ لقد خرج منذ حوالى ساعة .. ومن العبث أن نبحث عنه ... » . فقال مركين « ألا تدرى أين يسكن ؟ ! » .

— « ومن الذى يمكنه أن يدلك على ذلك ؟ إنه يأتى إلى هنا كل ثلاثاء . ولست أدرى أين يقطن ... إنه يمكث هنا ليلة واحدة ... فما من مندوحة سوى أن تنتظر حتى الثلاثاء القادم » . فتحوب مركين قائلا « هنا أتقول هذا أيها الوحش ؟!!. ما عساى أصنع الآن وقد أزف الموعد الذى يجب أن أكون فيه بحضرة قرينة الجنرال « شفليتسين » ؟ . أفقهت أيها الحقير؟ . آه تكاد قدماى أن تتجمدا ... » .

— « يمكنك أن تستعيد حذاءك قبل ذلك ... احتذى هذا الزوج . وامض به حتى المساء ، ثم اذهب إلى المسرح ... واسأل عن الممثل « بليستوف » وإذا لم تسارع بالمضى إلى المسرح فعليك بالبث حتى الثلاثاء القادم إنه لا يحضر إلا كل ثلاثاء ... » فالتقط مركين الحذاء وأخذ يتساءل وهو ينظر إليه باشمئزاز ونفور « ولكن كيف تعلل أن كلا الحذاءين لا يصلح إلا للقدم الشمال » .

فقال سميون وقد نفد صبره :

« أى قدر قذف بذلك الممثل ؟ إنه لأفقر خلق الله قاطبة ... وقد قال لى « أين الممثل الذى يمكنه أن يبتاع حذاء » فقلت له « ولكن من العار يا باقل ألكسندرتش أن تحتذى ما لغيرك » فراح يصيح « أمسك لسانك ولا تجعلنى أبطش بك ... ألا تدرى أنى أقوم بتمثيل الأمراء والعظماء » . ثم انصرف فى حذائك ... إنها لعمرى شرذمة من الطغام ... أولئك الممثلين ... آه لو أنى الحاكم بأمره أو أى شخص ذو سلطة « لجمعت هؤلاء الممثلين ... وزججت بهم فى أعماق السجون ... » .

وبين الزفير والأنين ... التقط مركين الحذاءين الشماليين ولبسهما ... ونهض وهو مقطب الجبين ، كاسف البال يعرج فى خطوته إلى دار الجنرال « شفليتسين » ... وأمضى يومه جُلّه فى المدينة ينتقل فى أنحائها لضبط بيان كل من يود . وكان يتوهم أن الجميع يتطلعون إلى حذائه الذى عفّى عليه الزمان . بلى كعبه ، وذهب لونه ... وقد أصيبت قدماه بالورم من جراء ما كان يعانيه من آلام شتى قاسية ...

* * *

وما كاد المساء يشمل الكون ، حتى أسرع مركين إلى المسرح حيث كانت تمثل رواية « الطائر الأزرق » . وكان التمثيل يشرف على النهاية ... فاتصل مركين بعازف الناى فى الجوقة الموسيقية — وكانت بينهما صداقة — ليعينه على التسلل إلى ما خلف المناظر المسرحية . ثم لم يلبث أن دلف إلى « غرفة ثياب الممثلين » حيث وجد بعضهم يغير أرديته ، والبعض يدهن وجهه ، والباقى ينفث دخان لفائفه ...

ووقف الطائر « الأزرق » يعرض على « الملك بوبش » غدارة فى يده ويقول :

— « يجمل بك أن تشتريها ، فقد ابتعتها من « كيرسك » كرهينة بثمانية « روبلات » ، ولكنى سوف أدعها لك نظير ست فقط ... إنها رائعة بلا شك » .

— « حذار ... فهى محشوة بالبارود كما تعلم »

اقترب مركين فى تؤدة وقال :

— « هل لى أن أتشرف بمحادثة السيد بليستنوف ؟ ! »

فالتفت إليه « الطائر الأزرق » وقال :

— « أنا ذا ! ما ذا تبغى ؟ ! » .

فأخذ ضابط البيان يقول فى صوت شاع فيه التوسل :

— « معذرة لإزعاجك يا سيدى ، ولكن صدقنى ، فأنا رجل منهوك مصاب بالنقرس المزمن ، وقد أشار على الطبيب بتدفئة قدمى »

— « ولكن أين ما تريد ! »

فقال مركين يخاطب « الطائر الأزرق » :

— « ألست تذكر أنك أمضيت الليلة البارحة فى خان « بهتياف » فى الغرفة رقم ٦٤ » ··· فانفجر « الملك بوبش » صائحاً فى غضب كالح: « هه ! ما ذا تقول؟ إن زوجتى فى الغرفة ٦٤ فابتسم مركين : « زوجتك يا سيدى ، هذا يسرنى ، إن زوجتك طيبة قد أشفقت على ضعفى ، وناولتنى حذاء ذلك الرجل الدمث ، وبعد أن مضى ذلك الرجل » . وأشار مركين إلى بليستنوف : « تفقدت حذائى ، ولم أعثر عليه ، فاستدعيت الساقى وسألته عن الحذاء ، فأجابنى إنه تركه فى الغرفة المجاورة خطأ على أثر ما جرعه من الخمر . تركه فى غرفتك ٦٤ يا سيدى » . ثم التفت مركين موجهاً حديثه إلى بليستنوف : « وعندما خلفت زوجة هذا ذلك الرجل الطيب لبست حذائى » . فصاح بليستنوف وقد اجتاحه الغضب : « عم تتحدث ؟ أتيت هنا لكى تخيل على وتتهمنى بافتراء باطل لا ظل عليه من الحقيقة ؟ »

— « لا ··· لا ··· يا سيدى ! حاش لله ، لقد أسأت فهمى ، لست أتحدث عن شىء سوى الأحذية ··· ألم تمض ليلتك فى الغرفة ٦٤ ؟ خبرنى ألم تفعل ذلك ؟ »

— « متى ؟ » . فقال مركين : « ليلة أمس »

— « ما الذى جعل ذلك يدور بخلدك ؟ أأبصرتنى هناك ؟ »

فجلس مركين وأخذ ينزع الحذاء من قدمه ، ثم قال فى اضطراب وتلعثم :

— « لا يا سيدى ··· لم أرك هناك ، ولكن زوجة هذا السيد الفاضل ألقت إلى بحذائك بدلا من حذائى »

— « ما الذى يثبت زعمك هذا وافتراءك ؟ لن أقول شيئاً عن نفسى ، ولكنك تمس عفاف سيدة شريفة بالقذف والتجريح وفى حضرة زوجها أيضاً »

وارتفع من خلف المناظر المسرحية عجيج وضجيج ··· لقد أهوى « الملك بوبش » الزوج الجريح فى شرفه ، وقد علا سحنته اللون القرمزى ، بقبضته على المنضدة فى وقذ بلغ من شدته أن ممثلتين فى « غرفة ثياب الممثلات » سقطتا فى غيبوبة ··· صاح الطائر الأزرق :

— « أو صدقته ؟ أوصدقت ذلك الصعلوك الحقير ؟ ! أتود أن أبطش به الأرض ؟ أترغب فى أن أصرعه أمامك كالكلب ؟ آه ··· سأجعل جسده كشراشح اللحم ··· سأهشم رأسه ! »

* * *

راح كل من كان يسير فى منتزه المدينة ذلك المساء بالقرب من « المسرح الصينى » يذكر كيف أنه قبيل الفصل الرابع شاهد رجلا حافى القدمين، شاحب لون الوجه ، تختلج عيناه بالرعب والهلع ، وهو يهرول خارجاً من المسرح منطلقاً ، يركض فى الطريق الرئيسى ، وكان فى أثره شخص آخر مرتدياً ملابس الطائر الأزرق يحمل فى يده غدار ··· ولم ير أحد ما حدث بعد ذلك

ولكن شاع بعد فترة من الزمن أن مركين « ضابط البيان » التزم فراشه لا يغادره مدة أسبوعين بعد أن قابل بلستنوف فى المسرح الصينى ··· وكذلك أضاف إلى عبارته المعهودة : « أنا رجل منهوك ، مصاب بالنقرس المزمن » . جملة جديدة : « كما أنى جريح منخوب الفؤاد » ···

(ملخصا) **مصطفى جميل مرسى**